تأثير الإسلام في البيئة وأبعاده الأمنية: السودان نموذجاً

د. الأصم عبدالحافظ أحمد الأصم(*)

التمهيـــد

يعد أمن البيئة أحد المكونات الرئيسة لمفهوم الأمن الشامل . وليس ثمة شك في أنه من أكثر المكونات التي شغلت ولا تزال تشغل بال العالم بأسره خاصة منذ بدايات العقد السابع من القرن الميلادي المنصرم وصولاً إلى فواتح هذا القرن الجديد ، بدلالة تعدد الأنشطة الدولية والإقليمية والوطنية ذات الصلة بقضايا البيئة ومشكلاتها فضلاً عن تنوع تلك الأنشطة . وتتمثل تلك الأنشطة في البحوث والدراسات والندوات والمؤتمرات والاتفاقيات وغيرها من فعاليات ترمي جميعها إلى الوقوف على تلك القضايا والمشكلات وابتداع أنجع الحلول والسياسات لمناهضتها أو على الأقل الحد من آثارها وأضرارها . وفي دول المنطقة العربية فازت قضايا البيئة ومشكلاتها بقدر من الاهتمام المحدود عكسته بعض الأحداث . فعلى سبيل المثال ، استضافة المغرب للمؤتمر الدولي عن المناخ (نوفمبر ، ٢٠٠١) فيها دلالة على اهتمام المغرب بخاصة ودول المنطقة العربية بعامة بالقضايا البيئية . كما يناسب هنا التنويه بتسمية دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية عام ٢٠٠١ م عاماً للبيئة واتخاذها خطوات علمية وعملية وإعلامية في سبيل درء مخاطر الأضرار البيئية ورفع مستوى الوعي البيئي وربط ذلك بأمن المجتمعات في هذه الدول وسلامتها .

وعلى الرغم من أنه لا يمضي يوم إلا وتغطية الأحداث البيئية تشغل حيزاً متعاظماً في الإعلام العربي المرئي والمسموع بيد أن الحدث البيئي الأكبر كان مربوطاً بحربي الخليج الأولى والثانية وما ترتب على ذلك من حرائق لبعض آبار النفط ودلق الزيت في مياه الخليج وربما وجود حالات استخدمت فيها الغازات السامة واليورانيوم المنضب

(*) مركز الدراسات والبحوث ـ جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية .

ومهما يكن من أمر فيظل الخليج العربي من أكثر البيئات العربية المرشحة للتعرض للملوثات الناتجة عن تسرب الزيت بحكم أنه الممر المائي الأعظم لناقلات النفط في العالم . ولعل في موت الأسماك في كل من الساحلين العماني والكويتي صيف عام ٢٠٠١ م بأعداد كبيرة خير شاهد على ما ذكرنا . وتعد معدلات التلوث في بعض دول الخليج الأعلى ، ليس على مستوى المنطقة العربية بل على مستوى العالم كما هو الحال في قطر التي وصل مستوى انبعاثات ثاني أكسيد الكربون فيها إلى ٤٢ طناً في كل ١٠٠٠ طن من الهواء خلال عام ١٩٩٦ م (World Bank,2000,pp. 34-35) . ولا تقف قضايا البيئة على التلوث فقط بل تتعداه إلى التصحر ، وهو ظاهرة لا يكاد ينجو من آثارها إلا قلة من الدول العربية إذ إن ٦٨٪ من أراضي الوطن العربي هي صحاري (شربل ، ١٩٩٨) . وعلى العموم فخير مؤشر على اهتمام الدول العربية بالبيئة وقضاياها هو عضويتها من عدمها في الاتفاقيات ذات الصلة بقضايا البيئة ومشكلاتها . ومن المؤشرات حسنة الدلالة على قضايا البيئة ومشكلاتها تنامي حركة النشر حولها ، والتركيز على التربية البيئية ومحاولة إدراجها في إطار قيم الأمة وثوابتها الحضارية والدينية انطلاقاً من حقيقة أن للأديان جميعها تأثيراتها وعلاقاتها البيئية[1] . لذا كان طبيعياً أن يكون للإسلام ، وهو الدين الخاتم الشامل الذي ما ترك منحىً من مناحي الحياة إلا وتعرض له أثره في البيئة . ترتيباً على ما سلف فإن هذا الأثر أو التأثير هو مدار هذه الدراسة من خلال نموذج تطبيقي (دراسة حالة من المنطقة العربية ـ حالة السودان) ، . وفي معرض تسبيب اختيار السودان لدراسة الحالة هذه تكفي الإشارة إلى أنه من بين كافة منظومة الدول المكونة للوطن العربي ـ يتمتع بأعلى درجة من التنوع البيئي وأنه الدولة العربية الوحيدة التي يكاد يجتمع فيها سائر صور الطيف البيئي العربي ـ أي كل البيئات تقريباً . ومن المؤكد أننا لن نستطيع في مثل هذه الورقة المحدودة الحيز أن نتعرض لجميع جوانب تأثير الإسلام في بيئة السودان بيد أننا سوف نركز على أهمها وذلك من خلال أقسام البحث الثلاثة ألا وهي :

(١) حول علاقة الإسلام بالبيئة انظر السكري (١٩٩٥) ، ورشوان (١٤١٨هـ) . أما علاقة الأديان بالبيئة مطلقاً فقد تعرض لها بإسهاب العديد من الباحثين ومن أبرزهم (Sopher, 1967) و(Deffontaine, 1953) و(Fickler, 1962) .

١ ـ مقدمة البحث .
٢ ـ إسهام الدين في بناء النظم البيئية المكانية .
٣ ـ الاستفادة من الموارد الطبيعية في الأغراض الدينية .

١ . المقدمــة

إذا صح أن هجرة المسلمين الأولى كانت إلى مكان ما في السودان فإن هذا يعني أن الإسلام قد وصل إلى السودان قبل وصوله إلى أجزاء من جزيرة العرب نفسها (الطيب ، ١٩٨٢ ، ص٥) . يرجح هذا الرأي ما ثبت من وجود علاقات تجارية مزدهرة ونشطة عبر البحر الأحمر بين قبائل «البجا» السودانية التي تعيش على سواحل البحر الأحمر الغربية وبعض القبائل العربية الحجازية كقبيلتي «بلي» و«جهينة» منذ العصر الجاهلي (Abdin,1959, p.61) وفي عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه وجه عامله على مصر عبد الله بن أبي سرح عدة حملات لتأديب النوبيين الذين ساءهم انتصار العرب المسلمين على أخوتهم في العقيدة من المصريين ، فما فتئوا يهددون الأمن والاستقرار في الجنوب المصري الشيء الذي اضطر العرب إلي حربهم (مسعد ، ١٩٧٥ ، ص٤٧٧) . وقد كان من نتائج تلك الحرب التوصل إلى اتفاقية تنظم العلاقات بينهما عرفت باتفاقية البقط[١] . ولأن الطرفين راعيا تلك الاتفاقية بكل دقة لأكثر من ٦٠٠ عام فقد أدى ذلك إلى توغل العرب المسلمين في أمن وسلام داخل

(١) البقط : ما كان يؤخذ من النوبة كل عام في قرية القصر ، على بعد خمسة أميال جنوبي مدينة أسوان . ولفظ «البقط» حسب اجتهاد بعض الباحثين لفظ مشتق من أحد أصلين ، الأول : لاتيني يوناني الأصل وهو «Pactum» ومعناه الاتفاق أو الموادعة . والثاني : مصري قديم وهو «باق» ومعناه الضريبة التي تدفع عيناً . ويذكر (Trimingham, J.S) في كتابه Islam in the Sudan, 1949 p.62 أن البقط ربما يدل على لفظ مصري قديم معناه العبد ، أما المقريزي (المواعظ والاعتبار ، ج٢ ، ص٢٨٩) فيذكر أن « البقط ما يقبض من سبي النوبة في كل عام ويحمل إلى مصر ضريبة ومعناه بعض ما في أيدي النوبة » . وقد تم توقيع الاتفاقية في ٦٢٥م ونصت على :
ـ عدم اعتداء النوبة على العرب في جنوب مصر أو اعتداء العرب على النوبة ما داموا ملتزمين بهذا الاتفاق .
ـ أن يدفع النوبة مبلغاً من المال للمسلمين في صورة ذهب وعبيد وجمال .
ـ ألا يتعرضوا للعرب كمسافرين غير مقيمين .
ـ أن ينظفوا المسجد الذي شيده المسلمون العرب في دنقلا ويسرجوه .

الأراضي النوبية بل واستقر بعضهم فيها (Hassan, 1973, p. 22) . ومن أميز الفئات التي استفادت من هذا المناخ السلمي فئتا العلماء والدعاة من جهة والتجار ورعاة الإبل من جهة أخرى . وساهمت كلتا الفئتين في نشر الإسلام وإشاعته وإن كانت مساهمة الفئة الثانية ثانوية قياساً إلى الفئة الأولى لأن همّ التجار والرعاة الأول كان اقتصادياً ألا وهو تسويق بضائعهم ورعي حيواناتهم قبل أن يكون هماً دعوياً أو علمياً (أرنولد ، ١٩٧٠ ، ص١٣٢) .

من بين هؤلاء الوافدين الذين كان لهم أعمق الأثر في البيئة السودانية ونشر الإسلام نتبيّن ما يلي :

١ ـ مجموعة من البعثات التبشيرية والتعليمية النظامية وغير النظامية التي قدمت من بلاد إسلامية مختلفة[١] .

٢ ـ الدعاة الأفراد الذين قدموا للسودان من مختلف أصقاع العالم الإسلامي بهدف نشر الإسلام كمحمد بن قرم الشافعي الكيماني «المصري» وغلام الله بن عايد الركابي «اليمني» وتاج الدين البهاري «العراقي» (أبو علي ، ١٩٦١ ، ص٥) ، والشيخ التلمساني المغربي والشيخ حمد ولد زروق الحضرمي والشيخ محمد المصري (قاسم ، ١٩٨٨ ، ص٢٥) والسيد محمد عثمان الميرغني الحجازي والسيد محمد المختار الشنقيطي الموريتاني وغيرهم (أرنولد ١٩٧٠ ، ص٣٦٤) .

٣ـ العلماء والدعاة الذين كانوا يعبرون السودان حاجين أو زائرين إلى مكة المكرمة وبخاصة من غرب أفريقيا (Al-Naqar,1972, p 108). وقد أسهم بعض هؤلاء بقدر كبير في نشر الإسلام في السودان لأن رحلاتهم عادة لا تتصل وإنما يقيمون حيناً ويسافرون أحياناً حسب الظروف . وإبان إقامتهم تلك يعملون على تعليم الناس أمور دينهم سيما في المدن والقرى الواقعة في طريق سفرهم من مكة المكرمة وإليها .

---

(١) أهم هذه البعثات : بعثتان مصريتان ثم بعثة شامية وبعثة عراقية وبعثة يمنية وأخرى حجازية ، انظر Al Assam, 1983 .

٤ ـ وبالقدر نفسه ساهم العلماء والدعاة السودانيون في نشر الإسلام لاسيما أولئك الذين أتيحت لهم فرصة تلقي العلم والمعارف الدينية في الأزهر والحجاز والقيروان وتمبكتو وجامعة القرويين وبلاد الشام وغيرها من مناطق الإشعاع العلمي فيما كان يعرف «بديار الإسلام» . ومن أبرز أمثلة هؤلاء إبراهيم وعبد الرحمن وإسماعيل وعبد الرحيم أبناء جابر الذين كانوا أول من حصل على الشهادة العالمية من «الأزهر» (ضيف الله ، ١٩٧٤) ، وأحمد الطيب بن البشير الذي طلب العلم في المدينة المنورة سبع سنوات ثم عاد إلى السودان وظل يعمل في حقل الدعوة لأكثر من ستين عاماً (نور الدائم ، ١٩٧٣ ، ص١٠) ، ومحمد المجذوب بن جلال الدين الذي تلقى العلم في مكة المكرمة والمدينة المنورة (Al-Karsani,1985, p. 15) ، وغيرهم . فضلا عن هؤلاء فهناك نخبة من الدعاة السودانيين الذين تلقوا علومهم داخل السودان وعملوا على نشر الإسلام في مختلف بقاعه .

وتعد الفترة الممتدة من بداية عهد الفونج[1] (١٥٠٤ـ١٨٢١ م) وحتى الوقت الحاضر أكثر الفترات التي انتشر فيها الإسلام قياساً بالفترات السابقة لها والسبب في هذا أن ملوك الفونج قد شجعوا العلم والعلماء وأقاموا صلات قوية مع مراكز الحضارة الإسلامية المعروفة وقتئذ . ليس ذلك فحسب بل وأنشأوا رواقا في الأزهر عرف «بالرواق السناري»[2] ليكون مقرا للطلاب السودانيين . وظلوا ينفقون عليه بسخاء زهاء ثلاثة قرون من الزمان (شقير ، ١٩٧٢) . ولم يقتصر النشاط الإسلامي على الفونج فقط لأن ممالك سودانية أخرى كان لها إسهام مماثل كممالك «الفور» «تقلي» و«المسبعات» والممالك الإفريقية الأخرى التي كانت تشغل كل إقليم السودان الكبير الممتد من السنغال إلى الصومال . ومنذ نهاية عهد الفونج في ١٨٢١ م وحتى الوقت

(١) هنالك اختلاف حول أصل الفونج , فالبعض يرى أنهم من بني أمية الذين أجبروا على ترك الجزيرة العربية بعد انتصار العباسيين عليهم . ورأي آخر يرى أنهم شعب أفريقي ذو أصول نيلية ولكنه استعرب بالزواج والاختلاط مع القبائل العربية .

(٢) الرواق : يضم عادة مساكن للطلاب وأماكن للدراسة واستذكار الدروس . وسمي بالسناري نسبة إلى سنار التي كانت عاصمة دولة الفونج .

الحاضر تعاقب على حكم البلاد : الحكم التركي (١٨٢١ـ١٨٨٥) والحكم المهدوي (١٨٨٥ـ١٨٩٨) والحكم الثنائي (١٨٩٨ـ١٩٥٦) والحكم الوطني الذي بدأ في ١٩٥٦ ولا يزال مستمراً . وفيما عدا الحكم الثنائي الذي اتخذ عدة سياسات بهدف الحد من تقدم الإسلام وخاصة في جنوب البلاد ومن بينها سياسة عزل الجنوب عن الشمال من خلال قانون المناطق المغلقة . فإن أنظمة الحكم الأخرى قد شجعت الإسلام بشكل أو بآخر . وهكذا أدى تعاقب الأنظمة والحكومات منذ دخول الإسلام إلى السودان وحتى الوقت الحاضر إلى تحولات جوهرية في البيئة الطبيعية والبشرية بسبب تأثير الإسلام فيها . وهنا نود أن نؤكد أن هذا التأثير كان ولا يزال مستمراً وأن التفاعل بين عناصر الدين ومتغيراته من جهة والبيئة الجغرافية من جهة أخرى لم يفقد ديناميكيته وحيويته . ومعنى هذا أن السودان أضحى منذ ذلك الوقت إطاراً أو وعاء مكانيا لتفاعل عدة متغيرات إسلامية وبيئية ـ هذا التفاعل وخاصة لجهة أثر الإسلام في البيئة من حيث أن البيئة هي « الكل المركب لعناصر الطبيعة والعناصر التي من صنع الإنسان » (Gunn,1978, p. 173) ؛ هذا التفاعل هو موضوع بحثنا . وفقاً لهذا التعريف فإن مفهوم البيئة يعني الأرض والماء والمناخ والتربة والنبات والمباني والصناعات وحركة الإنسان ونشاطه الاقتصادي والاجتماعي ودينه ولغته وعاداته وتراثه إلى غير ذلك (Gunn,1978, p. 173) و (Sopher,1967, p.14) وبالطبع فهناك ، كما ذكرنا تعريفات عديدة للبيئة ولكنها في جوهرها لا تخرج عن مضمون هذا التعريف الذي يتميز بالشمول .

نخلص إلى أن الهدف الرئيس لهذه الدراسة هو الوقوف على تأثير الإسلام في البيئة السودانية مع محاولة تلمس البعد الأمني في هذا التأثير وذلك من خلال تطبيق المنهجين الوصفي والتاريخي والأساليب الخادمة لهما لأن طبيعة البيانات يناسبها هذان المنهجان .

١ . ١ الدراسات السابقة

لم يكن أثر الإسلام في البيئة السودانية موضوعاً لأية دراسة سابقة . ولكن هذا لا ينفي أن الدراسات البيئية السودانية قد تطرقت بشكل أو آخر لأحد عناصره

(Alassam, 1983) . كما عالج كل من (Al-Karsani, 1985) و(Osman, 1985) التأثير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لبعض الطوائف الدينية في منطقتي الدامر في شمال السودان والجزيرة في وسط السودان . ولما كان البحثان على جودتهما ليسا متعلقين بالبيئة بصورة مباشرة فإن جدواهما العلمية لهذا البحث كانت محدودة . باستثناء هذه الأبحاث فإن المعلومات المتاحة مما له علاقة بالموضوع هي معلومات غير وثيقة الصلة بالبيئة وإنما استمدت من مصادر منشورة أو مخطوطة .

ومن بين هذه المصادر يعد كتاب الطبقات لمحمد النور بن ضيف الله والذي حققه د . يوسف فضل حسن (١٩٧٤) أوفر المراجع التاريخية والدينية مادة حول أهم فترات المد الإسلامي في السودان وهي فترة الفونج (١٥٠٤-١٨٢١) . كان هذا المصدر أساسياً في تمكين الباحث من التعرف إلى أميز مراكز النشاط الديني خلال تلك الفترة التي شهدت قيام أول دولة إسلامية كبرى في السودان مما مكن الدين من الهيمنة على البيئة الاجتماعية والحضارية والاقتصادية وإلى حد ما البيئة الطبيعية في جزء مهم من السودان (ملحق ١) . ومعلوم أن هذه الأنماط البيئية تكون في مجموعها كُلاً بيئياً متكاملاً . كتاب آخر له الدرجة ذاتها من الأهمية هو «مخطوطة الحاج أحمد أبو علي كاتب الشونة في أخبار السلطنة السنارية والإدارة المصرية» وقد حققه الشاطر بصيلي عبد الجليل (١٩٦١) وهو يؤرخ للفترة نفسها أي فترة الفونج . فيما سوى هذين المصدرين فإن المصادر التاريخية والدينية لم تكن ذات غناء كبير مما جعل جمع المعلومات يعتمد أساساً على الدراسة الميدانية والملاحظة الشخصية والمقابلات التي تمت مع عشرات الأشخاص في المراكز الدينية التي زارها الباحث خلال فترات مختلفة .

ومن المراجع القيمة في هذا الصدد كتاب (Trimingham, 1949) عن الإسلام في السودان . والكتاب لا يدخل في دائرة موضوعنا على وجه التحديد والكثير من تحليلات صاحبه غير مقبولة بيد أنه في الوقت ذاته قد بذل جهداً كبيراً في جمع مادة علمية مفيدة عن الإسلام في السودان وبخاصة «التدين الشعبي» أو السلوك الديني عند العامة إذا جاز التعبير . كذلك أنجز الكاتب السوداني محمد المكي إبراهيم (١٩٧٦) بحثاً مشحوناً بالمعلومات تحت مسمى «الفكر السوداني أصوله وتطوره» طرح فيه مرئيات عديدة حول موضوعات إسلامية . ولم يتطرق لعلاقة الإسلام بالبيئة إلا بمقدار

أو بصورة غير مباشرة . وعلى المنحى ذاته سارت عشرات الأعمال التي لم تتعرض لتأثير الإسلام في البيئة على وجه التحديد بيد أنها لمست ذلك التأثير وعالجت جوانب منه وإن كان ذلك بصفة ثانوية . وأقرب تلك الأبحاث إلى موضوعنا هي الأبحاث التي كان مدارها حول التعليم الديني التقليدي (الخلوة أو كتاتيب تعليم القرآن) أو ما كان منها متصلاً بالتربية الإسلامية، وأحياناً ترد بعض الإشارات لعلاقة الإسلام بالبيئة في كتب التاريخ السوداني العامة (عبد المجيد ، ١٩٤٩ ، Al Tayeb,1959 ، الطيب، ١٩٩١ ،أحمد ١٩٧٩ ، الأمين (د.ت) ، أبو علي، ١٩٦١ ، محمد أحمد، ١٩٨٣ ، مسعد ، ١٩٧٥ ، مسعد ١٤١٩ ، قريب الله ، ١٩٦٨ ، السيد، ١٩٩٠ ، الحاج، ١٩٧٣ ، الحاج ، ١٩٨٣ ، عبد الرحيم، ١٩٧٣ ، Osman, 1985 ، Al-Tom, 1982 ، Al-Assam, 1983 ، بدري، ١٩٧٢ ، البشير، ١٤٠٠ ، عبد الجليل ، د.ت، وزارة التربية السودانية ، د.ت، وزارة الأوقاف السودانية ، د.ت ، هولت، ١٩٨٦). وما ذكرنا لا يعدو أن يكون غيضاً من فيض لكنها جميعاً تشترك فيما يلي :

١ ـ أنها أبحاث لا تدخل في صلب موضوع الدراسة .

٢ ـ بعض هذه الأبحاث ينهج نهجاً أقرب للأسلوب الصحفي منه إلى الأسلوب العلمي مما يجعل الاستفادة منها كمراجع محدودة .

٣ ـ الأبحاث التي أعدها أوربيون عن الإسلام في السودان كثيراً ما تشم منها أو من أغلبها رائحة التحامل بل والعداء للإسلام الشيء الذي يستوجب قدراً كبيراً من الحذر إذا أريد لها أن تصبح مصادر علمية لأية دراسة جادة .

١ .٢ مصادر المعلومات

١ ـ زيارات ميدانية قام بها الباحث لتسعة مراكز دينية مهمة موزعة على مساحة كبيرة من السودان الشمالي ذي الأغلبية الإسلامية (شكل١) . تمت هذه الزيارات خلال فترات متقاربة . ولأن هذه المراكز اختيرت بعناية بحيث تمثل أنماط المراكز الدينية المختلفة في جميع أنحاء القطر أمكن تعميم الكثير من النتائج التي ترتبت على زيارة هذه المراكز .

٢ ـ المقابلات الشخصية للعديد من الأفراد على مستويات مختلفة من مسؤولين حكوميين أو أشخاص لهم علاقة بالمؤسسات الدينية[١]. ويندرج تحت هؤلاء:

أ ـ الشيخ الذي هو غالباً رئيس المركز الديني الذي توجد به المؤسسة الدينية التي تضم مسجداً ومرافق دعوية أخرى .

ب ـ مساعدو الشيوخ ويعرفون في الاصطلاح السوداني بالمقدّمين (مفردها مقدّم) .

ج ـ بعض الطلاب الذين يدرسون القرآن الكريم في مدرسة تعليم القرآن الملحقة بالمؤسسة الدينية والمعروفة باسم «الخلوة» .

د ـ مجموعة من الزوار والضيوف الذين تصادف وجودهم في الرباط أو التكية (مكان الضيافة) الملحقة بالمؤسسة الدينية أيضاً .

٣ ـ الملاحظة الشخصية بشكل عام وخلال الدراسة الميدانية بخاصةٍ .

٤ ـ المصادر المكتبية المنشورة والمخطوطة والتقارير والنشرات إلى غير ذلك مما سترد الإشارة إليه في موضعه في متن البحث .

مستفيداً من البيانات التي توافرت له من خلال الدراسة الميدانية حاول الباحث تلمس تأثير عناصر الدين ومتغيراته في البيئة .

وتتمثل هذه العناصر والمتغيرات الدينية في الصلاة والزكاة والصيام، الحج والطهارة والمسجد وأنظمة ملكية الأرض وتعدد الزوجات وطلب العلم والتكافل والتراحم إلى غير ذلك .

---

(١) تعرف المؤسسة الدينية في السودان «بالمسيد» وكلمة المسيد تصحيف من المسجد . وتضم في الغالب الوحدات التالية : (١) المسجد (٢) مدرسة تعليم القرآن الكريم وتعرف في السودان باسم«الخلوة» وتجمع على «خلاوي» (٣) حلقة القرآن وهي ساحة توقد في وسطها النار ليلاً ويتحلق الطلاب حولها لقراءة كتاب الله وحفظه (٤) التكية أو «الرباط» وهي مكان إقامة الضيوف والزوار (٥) مساكن طلاب الخلوة (٦) مساكن الشيخ (رئيس المؤسسة ومن يساعده) .

ولكل عنصر أو متغير انعكاساته على البيئة بشموليتها وجوانبها المختلفة اجتماعية وأمنية واقتصادية وطبيعية وحضارية .

وحتى نقرب الصورة للقارئ حول علاقة البيئة بعناصر الدين ومتغيراته نكتفي بأن نمثل لذلك بأهم تلك العناصر ألا وهو الصلاة .

يتخذ الأثر البيئي للصلاة صوراً مختلفة منها أن الصلاة نفسها ترتبط بأوقات محددة خلال اليوم تحددها حركة الشمس الظاهرية . كما أن صلوات بعينها مثل صلاة الكسوف والخسوف ترتبط بهاتين الظاهرتين الفلكيتين وتلازم حدوثهما . وصلاة أخرى ذات صلة وثيقة بإحدى الظواهر البيئية ألا وهي صلاة الاستسقاء بقصد طلب الغيث إبان فترات الجفاف وإمساك القطر . وتؤثر مواقيت الصلاة إلى حد كبير في تحديد أوقات العمل خاصة في البيئات الزراعية . ولنا أن نتصور أهمية هذا الجانب إذا علمنا أن أغلب سكان السودان يمارسون الزراعة . وينقسم يوم المزارع العملي عادة إلى فترتين . . الأولى صباحية وتعرف في السودان «بالضحوة» والأخرى مسائية وتعرف «بالسربة» . تنتهي الفترة الأولى قبيل صلاة الظهر إذ يحرص الناس على أداء الصلاة في جماعة ؛ وتبدأ الثانية بعد صلاة العصر مباشرة وتنتهي قبيل صلاة المغرب .

هذا من جهة الوقت أما من حيث مكان الصلاة فإن المسجد كان ولا يزال أبرز ظاهرة عمرانية في القرى والمدن . ولأسباب دينية تتعلق بتعظيم المسجد فإنه عادة ما يكون حسن البناء رفيع المآذن مما يعطيه تميزاً وبروزاً . هذا ما تشترك فيه جميع المساجد بيد أنها تختلف من حيث طرزها ومواد بنائها . ففي الكثير من قرى جنوب السودان وغربه البعيد والأوسط تنتشر المساجد المبنية من القش والخشب والأعشاب (شكل ٥) وهي مواد مستمدة من البيئة المحلية . كما توجد مساجد تبنى من الطين أو الطوب الأحمر بينما هناك مساجد تشبه إلى حد كبير مساجد مصر والحجاز ذات الطرز المميزة والتي يغلب عليها خصائص العمارة الإسلامية الرفيعة من حيث العقود والأقواس وأحياناً النقوش والخطوط والزخارف . ومهما يكن من أمر فإن النماذج المصرية للمساجد وبخاصة مساجد القاهرة القديمة والحديثة هي السائدة لاتصال البلدين اتصالاً بريا لا ينفصل . ولأن الناس يأتون إلى المسجد من المنطقة التي حوله فإننا نعده

مركزاً لاستقطاب حركة بشرية مؤقتة من محيطه الذي يصغر ويكبر حسب حجم المستوطنة وتركيبها الداخلي وأعداد سكانها وعدد المساجد فيها . وبالقرب من المساجد الكبيرة وخاصة في المدن السودانية عادة يوجد باعة قد تتحول معهم منطقة المسجد على المدى البعيد إلى سوق شبه دائمة . وهكذا تسهم الصلاة في ايجاد منافع اقتصادية بالإضافة إلى منافعها الروحية والحضارية . وتتمثل الأخيرة ـ أي الحضارية ـ في تبادل الآراء والأفكار بين المصلين حول موضوعات دنيوية ودينية مما يعمق الإحساس بالوحدة والإخاء ويصب في خانة إذابة الفوارق العرقية والإثنية . والبعد الأمني هنا واضح جداً . ويزيد من قوة هذا الشعور اتجاه المصلين إلى قبلة واحدة وصلاتهم خلف إمام واحد بالإضافة إلى العنصر التنظيمي ذي السمة الحضارية المتمثل في الاصطفاف وأداء الصلاة نفسها بحركات محددة وبنهج مرسوم سلفاً . ويبدو لي أن الأثر الترويحي للصلاة يمكن ترجمته بيئياً في صورة هدوء نفسي وأمن اجتماعي يعين على العمل ويرفع الطاقة الإنتاجية للفرد . ليس ذلك فحسب بل إن المسجد هو المكان الذي تحل فيه معظم مشكلات القرى والأحياء على مستوى الجماعات والأفراد الأمر الذي يؤكد على خدمة المسجد للأمن وتأثيره البالغ في بسط الأمن والسلم في أنحاء البلاد وبخاصة المناطق التي تشغلها أغلبية مسلمة .

٢. إسهام الدين في بناء النظم الدينية المكانية (البيئية)

يقصد بالنظام «الديني المكاني البيئي» في هذه الدراسة مجموعة من المواقع التي ترتبط بعلاقات وصلات دينية محددة . يبدأ انتقال الأفكار الدينية في الغالب من مركز واحد يعرف بالمركز الرئيس Primate Center إلى مواقع أخرى خلال فترة زمنية أولى ثم تنتقل تلك الأفكار من المواقع الجديدة إلى مواقع أخرى خلال فترة زمنية ثانية . وهكذا تظل العملية مستمرة . ومما يضمن هذا الاستمرار الحركة العكسية الناتجة عن التفاعل المستمر بين الأماكن الواقعة تحت مظلة نظام مكاني(*) واحد (شكل٢) .

(*) النظام المكاني يعني مجموعة من الوحدات والعلاقات بين هذه الوحدات :
Langton J.1972 Potentialities and Problems of Adopting A Systems Approach to the Study of Change in Progress in Human Geography, Vol 4,p.125
والوحدة هنا تعني موقعاً أو مستوطنة سكانية

بهذا الفهم نستطيع الرجوع بالأنظمة الدينية السودانية إلى ما قبل ألف عام حينما دخل الإسلام إلى السودان ـ هذا بصفة عامة لأن طول الفترة الزمنية كما ذكرنا آنفاً ـ من شأنه أن يحول بيننا وبين الحصول على معلومات مفصلة عن تلك الأنظمة . من هنا رأيت أن أقتصر على الأنظمة الدينية المكانية التي تتوافر عنها معلومات كافية . وهذه ترجع إلى عهد « الفونج » القريب نسبياً (١٥٠٤ـ ١٨٢١م) . ولما كانت هذه الأنظمة التي ظلت مستمرة حتى الوقت الحاضر مؤسسة على الأنظمة السابقة لها ـ أي ما قبل الفونج فبالاستطاعة القول إن الأنظمة المكانية الحالية هي جماع أو خلاصة تمثل كل ما سبقها وأن أثرها في البيئة الطبيعية والبشرية هو أثر لها وللأنظمة السابقة لها والمندرجة ضمنا فيها بصورة أو أخرى .

يبلغ عدد الأنظمة الرئيسة منذ بدايات عهد الفونج وحتى الوقت الحاضر اثني عشر نظاما . وبالإمكان إطلاق اسم مؤسس النظام الديني على النظام نفسه كما أنه يناسب أن يطلق اسم المركز الأول الذي بدأ منه عمل المؤسس على النظام إلا أن تسمية النظم الدينية بأسماء مؤسسيها هو الأكثر شيوعاً . ومن خلال (جدول١) نلاحظ أن الأنظمة نشأت خارج السودان فيما عدا أربعة أنظمة . وفي هذا دليل قوي على ارتباط السودان بالوطن الإسلامي الكبير وانفتاحه عليه وبخاصة مصر وشبه الجزيرة العربية (الحجاز) .

ويجدر بالذكر أن تكوين المجتمع السوداني وتركيبه الثقافي وثيق الارتباط بهذه المجموعة من النظم الدينية التي تجذرت في كامل السودان المسلم . ولم يقتصر الأمر على تحكمها في تشكيل المجتمع السوداني فقط بل امتد إلى بلورة شخصيته وتحديد قسماته وملامحه . وكنا قد ذكرنا في فواتح هذا البحث الأثر الكبير للدعاة والشيوخ في تحديد المعالم السياسية للبلاد ولاسيما من بداية عصر الفونج الزاهر إسلامياً (٣١٦ سنة) مروراً بالفترة التركية المصرية (٦١ سنة) وحتى دولة المهدية الإسلامية (١٦ سنة) . ومذ ما قبل سقوط البلاد تحت قبضة الاستعمار وصولاً إلى الوقت الحاضر نشطت هذه التنظيمات في مجالات مختلفة منها تعليم القرآن واللغة العربية ثم امتدت يدها للشؤون السياسية .

الجدول رقم (١) : بلد المنشأ وسنة التأسيس للأنظمة الدينية الرئيسة في السودان

رقم النظام	بلد المنشأ	سنة التأسيس
١	تونس	١٤٤٥م
٢	العراق	١٥٧١م
٣	الحجاز (المدينة)	١٧٦٤م
٤	الحجاز (مكة)	١٨١٠م
٥	الحجاز (مكة)	١٨٢٠م
٦	المغرب	١٨٤٠م
٧	مصر	١٨٢٢م
٨	السودان	١٨٨٣م
٩	السودان	١٨٤٢م
١٠	السودان	١٧٨٥م
١١	السودان	١٨٤٠م
١٢	مصر	١٩٦٠م

المصدر :

1. Trimingham, J. Spencer(1949) : Islam in the Sudan. Oxford University Press,

٢ . ١ أنواع الأنظمة ودرجة تعقدها

بالإمكان تصنيف هذه الأنظمة بأكثر من طريقة إلا أن أرجحها هو ما ارتبط بالمكان مثل موطن مؤسس النظام بالإضافة إلى معلومات أخرى مساعدة كاسمه وجنسيته والسنة التي تأسس فيها نظامه داخل السودان . وفقا لهذا نجد ثلاثة أنواع من الأنظمة :

١ ـ أنظمة دينية نشأت خارج السودان وحملها شيوخ دعاة غير سودانيين إلى السودان .

٢ ـ أنظمة دينية نشأت خارج السودان وحملها إلى السودان دعاة سودانيون سافروا إلى خارج السودان وتبنوا هذه الأنظمة وأدخلوها إلى السودان .

٣ ـ أنظمة دينية نشأت داخل السودان وأسسها شيوخ سودانيون .

وكما تختلف هذه الأنظمة في أصنافها فإنها تختلف في درجة تعقدها النسبي وذلك تبعا لطول فترة تكون النظام وتطوره فكلما كانت الفترة أطول كانت درجة التعقيد أكبر . وتتحدد درجة التعقيد بناء على عدة أسس أهمها :

١ ـ تعدد المواقع من عدمه . أي تلك المواقع المنضوية تحت مظلة نظام ديني واحد إذ ترتفع درجة تعقد النظام بارتفاع عدد المواقع المنضوية تحته . وكلما قلت هذه المواقع دلَّ هذا على انخفاض درجة التعقيد .

٢ ـ الأهمية النسبية للمواقع من حيث عدد السكان وطبيعة النشاط الاقتصادي وحجمه وكل المعطيات البيئية التي يستفاد منها في تحديد أهمية موقع ما .

٣ ـ مستوى النشاط والفعالية الدينية لكل موقع من المواقع المنضوية تحت نظام واحد .

٤ ـ مدى قوة الاتصال وكثافته بين المواقع داخل النظام .

٥ ـ درجة انفتاح النظام على غيره من الأنظمة .

٦ ـ قدرة النظام على التجدد والمواكبة مع تحولات المجتمع وتغيره .

٧ ـ ومن المؤشرات القوية الدلالة على تعقد الأنظمة الدينية تداخلها وترادفها (Overlapping) والمقصود بالتداخل والترادف تحديداً هو وجود أكثر من نظام ديني في منطقة واحدة . ولعل أحد المزايا الإيجابية لهذا النوع من التعقيد هو إمكانية انفتاح الأنظمة المترادفة على بعضها البعض ومن ثَم استفادتها من بعضها بعضاً من خلال تبادل الخبرات والتجارب (شكل ٤) .

وبنظرة فاحصة إلى هذه الأسس يتأكد لنا أن عامل طول فترة تكون النظام بوصفه سبباً أساسياً للتعقيد على أهميته ليس مضطردا على كل حال إذ إننا نلاحظ أن الأنظمة الدينية التي كانت نشأتها ناتجة عن حركة ثورية عادة ما تكون على درجة عالية من التعقيد حتى وإن لم تكن طويلة العمر. مثال ذلك النظم المكانية الدينية التي ظهرت خلال الثورة المهدية (١٨٨١-١٨٩٨ م) إذ إنه على الرغم من عمر الثورة المهدية القصير نسبيا كانت تلك النظم أشد ما تكون تعقيدا. هذا التعقد الشديد انعكس بدوره على التركيبات البيئية في معظم أنحاء السودان وخلف أثرا عميقا في معظم الصور البيئية وخاصة فيما يتعلق بالنشاط الاقتصادي للسكان وإعادة توزيعهم وإعادة صياغة النظام القيمي والبعد الحضاري لكل الأمة تقريبا بما يمكن أن نسميه انقلابا كليا على البيئة الاجتماعية والاقتصادية بل والطبيعية لأن اشتغال الناس بالعمل العسكري والجهادي الديني مع إهمال الزراعة وتأمين الغذاء كان أحد الأسباب التي أدت إلى جفاف عام ومجاعة مشهورة في عام (١٣٠٦هـ-١٨٨٩ م). وهنا يبرز البعد الأمني بوضوح لأن الجوع أو المجاعة هي أحد أقوى الأدلة على انفراط حبل الأمن البيئي كما أن الاضطرابات الأمنية والأعمال العسكرية خلال الفترة ذاتها، تندرج تحت مظلة البعد الأمني.

٢ . ٢ مورفولوجية المواقع الدينية وصور المساكن

تتنوع المواقع الدينية من حيث أشكالها ومورفولوجيتها (Morphology) إذ يغلب النمط الدائري والنمط غير المنتظم على المناطق الدينية ذات الاقتصاد الزراعي المؤسس على الري المطري والبعيد عن نهر النيل بينما يسود النمط الطولي Linear عند ضفاف النيل. ولا تفسير لحالة النمط الطولي إلا أن النيل أحد أهم مصادر الماء-الضروري للعبادات الإسلامية-له إسهام كبير في تشكيل المستوطنات الدينية وإلى حدٍ كبير المستوطنات غير الدينية.

وبعض هذه المستوطنات كان قائماً قبل وصول (الداعية الأول) إليه فيما يعرف «بالشيخ» ولكنه توسع ونما بسبب إقامة الشيخ أو أحد وكلائه فيه أو قد تكون نشأته عائدة إلى تأسيسه بالكامل ومن لا شيء من قبل أحد الشيوخ الدعاة. ولا أدل على

هذا من أن كثيراً من المراكز الدينية يحمل اسم مؤسسه حتى إن أكثر من ٥٠٪ من أسماء المدن والقرى في منطقة الجزيرة ووسط السودان هي أسماء لمؤسسيها (مصلحة المساحة السودانية، ١٩٣٠م). ولا يقتصر أثر الدين على هذا بل يتعداه إلى صورة المسكن من حيث تقسيمه الداخلي ـ هذا بالطبع إلى جانب اعتبارات المناخ والطقس. ويتم تصميم المسكن بحيث يراعى ما يلي :

١ ـ عزل النساء عن الرجال .

٢ ـ الاتساع ما كان ذلك ممكناً .

٣ ـ تخصيص مكان للضيوف .

٤ ـ البساطة في مواد البناء وفي شكل المسكن .

٥ ـ الاستفادة من مواد بناء مأخوذة غالباً من البيئة المحلية .

٦ ـ الفصل بين كل دار وأخرى مراعاة للخصوصية وتفادياً للحرائق خاصة في المناطق التي يغلب على البناء فيها الخشب والقش والمواد النباتية (بعد بيئي أمني) .

٢ . ٣ مبررات اختيار المواقع الدينية

لم يتم اختيار المواقع القائمة أو التي قامت فيما بعد اعتباطاً وإنما أسست على عدة مسببات بيئية لعل أهمها ما يلي :

١ ـ وفرة الماء الضروري للطهارة والاستعمالات الأخرى .

٢ ـ إمكانات زراعية كافية لإنتاج طعام بما يلبي حاجة الطلاب ورواد هذه المراكز الدينية فضلاً عن إنتاج فائض من المحصولات لإنفاق عائده على عمليات الدعوة ونشر الدين وعلومه في محيط المركز الديني وخارجه .

٣ ـ نقطة التقاء طرق حتى يسهل الاتصال والتبادل السلعي والفكري بين المركز الديني وغيره من الأماكن .

٤ ـ الكثافة السكانية العالية نسبياً تعد عنصراً مهماً في اختيار مثل هذه المواقع

لأنها تعني فرص عمل أكبر من حيث عدد المستفيدين من خدمات المركز الديني (دعوة ، تحفيظ قرآن ، دروس مختلفة . . إلخ) .

٥ ـ الأهمية التاريخية لموقع ما قد تدخل أحياناً كسبب مرجح في اختيار ذلك الموقع ليكون مركزاً دينياً .

٦ ـ في المواقع النيلية تضاف إمكانية الري الزراعي وصيد الأسماك .

٧ـ في قلة من المواقع لاحظ الباحث وجود تلال أو جبال ذات مغارات أو كهوف مما يعين على التعبد الانفرادي والاعتكاف وهو من الأشياء المحببة لدى قطاع كبير من المتعبدين السودانيين .

٨ ـ قرب الموقع من مركز حضري مهم .

٩ ـ عدم وجود موانع تحول دون مؤسس المركز من إقامته في المنطقة التي وقع الاختيار عليها .

وقد لاحظ الباحث أن سبب اختيار الموقع قد يكون واحدا وقد يكون أكثر من سبب كما يتضح من الجدول (٢) .

وكيفما كان كل أو بعض هذه المسببات ضروريا عند اختيار موقع ما ليكون مركزا دينيا فان عمر هذا المركز أو الموقع وقدرته على الاستمرار مرهونة بوجود مسببات اختياره وفعاليتها . وقد لاحظ الباحث أنه بتغير تلك المسببات فإن الموقع الديني قد يتغير تلقائيا تبعا لذلك .

ومن أكثر أنماط التغير الشائعة ما يلي :

١ ـ اندماج موقع في موقع أو مواقع أخرى .

٢ ـ تحرك مركز ديني إلى مكان آخر غالبا ما يكون قريبا من الموقع الأول .

٣ـ مواقع اندرست ولم يبق منها إلا معالم محدودة أو أن معالمها قد اختفت تماما ولا نعلم عنها إلا أسماءها .

الجدول رقم (٢) : عدد المسببات البيئية التي بني عليها اختيار مواقع بعض المراكز الدينية المهمة

م	اسم المركز الديني	عدد أسس الاختيار
١	فوروبرنقا	٣
٢	هبيلة	٢
٣	ودعة	٢
٤	المزروب	١
٥	أم طلحة	٢
٦	كركوج	٣
٧	كاجوكاجي	٢
٨	سنكات	٢
٩	الشيخ الصديق	٢
١٠	شيخ شريف	٣
١١	جزيرة كومي	٣
١٢	العفاط	٣
١٣	الباوقة	٣
١٤	الجوير	٣
١٥	اسلانج	٤
١٦	ودحسونة	٢
١٧	الزريبة	٢
١٨	أبوجبيهة	١
١٩	القفلة	١
٢٠	الشوك	٣

م	اسم المركز الديني	عدد أسس الاختيار
٢١	أبوحراز	٣
٢٢	طيبة	٣
٢٣	مبروكة	٣
٢٤	القوز	٣
٢٥	رهيد البردي	٢
٢٦	الحاج اللين	٢
٢٧	خرسي	٢
٢٨	شبشة	٢
٢٩	أم سعدون	٢
٣٠	أم حجر	١
٣١	الشكينيبة	٢
٣٢	السوكي	٣

الجدول من إنشاء الباحث والبيانات من :

١ ـ عبد الرحيم، جعفر محمد: (١٩٧٣) ، تاريخ القرآن في السودان. الخرطوم .

٢ ـ دراسة الباحث الميدانية (عدة سنوات) .

٢ .٤ استخدام الأرض حول المراكز الدينية

تناسب هنا الإشارة إلى أن الاستخدام الزراعي للأرض هو الغالب على المناطق المحيطة بالمراكز الدينية أكثر من أي استخدام آخر، ذلك أن هذه المراكز عادة تعج بطلاب القرآن الكريم الوافدين من مناطق قريبة وبعيدة والزوار وعابري السبيل وغيرهم، لهذا كان من الضروري التوسع في الزراعة بهدف توفير الطعام لمقابلة حاجة هؤلاء الطلاب والزوار . كما أن بعض الطلاب أنفسهم يزرعون مساحات محدودة لصالحهم إذا ما وجدوا أرضاً، وفي أحيان كثيرة يستفيدون من وقت فراغهم كعمال زراعيين بأجر لدى بعض مزارعي قرية «الشيخ» أو القرى المجاورة لها . كما لاحظ الباحث في معظم المراكز الدينية التي زارها أن الطلاب والزوار يساهمون طوعاً بشكل جماعي فيما يعرف محلياً «بالنفير» في العمليات الزراعية في مزارع الشيخ أو مزارع غيره من سكان القرية. لكل هذه الأسباب مجتمعة تتوسع رقعة الأرض المزروعة حول المراكز الدينية على حساب الاستخدامات الأخرى كالمراعي والاستعمالات الغابية . ليس هذا فحسب بل إن للدين إسهامه في اختيار ما يزرع ومجالات استعمالات المحصولات الزراعية، ولما كانت الزراعة موجهة لجانب إنتاج الطعام فإن اختيار ما يزرع عادة ما ينحصر في دائرة زراعة الذرة والقمح واللوبيا والخضر بينما يضعف التوجه إلى إنتاج محاصيل تجارية كالسمسم والفول والخروع والكركدي حول المراكز الدينية . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يلجأ المزارعون المعتقدون في سلامة رأي الشيوخ إليهم لأخذ رأيهم حول ما يريدون زراعته بل والمساحة التي ينبغي أن يزرعوها وكل ما يتعلق بهذا . وعادة ما يقدم «الشيوخ» المشورة في هذا الصدد من واقع خبرتهم الذاتية أو بلجوئهم إلى «الاستخارة النبوية» وأحياناً يرجع الشيوخ إلى من هو أخبر منهم من أهل القرى التي هم فيها أو في غيرها .

ولأن الدين يحرم شرب الخمر وصناعتها نجد صناعة «الخمور البلدية» غير شائعة أو أنها شائعة بمقدار لا يذكر في المراكز الدينية في شمال السودان ووسطه خلافاً للمستوطنات الأخرى وأكثر ما تكون شيوعاً في القرى التي بها أسواق أسبوعية وفي أطراف المدن . ومعنى هذا أن الدين يدخل بصورة غير مباشرة في تحديد مجالات

استعمال المحاصيل الزراعية . ويسهم بسبب منعه تعاطي الخمور في الحد من الجريمة وزعزعة الأمن والاستقرار ، ذلك أن شرب الخمور غالباً ما يترتب عليه سلوك إجرامي أو تصرف غير سوي قد يتفاقم ليهدد الأمن العام للمجتمع .

٣ . الاستفادة من الموارد الطبيعية في الأغراض الدينية(*)

٣ . ١ الموارد النباتية

وتنحصر في الأخشاب وحطب الوقود والقش (Thatch) والأشواك واللحاء . وتستعمل هذه الموارد منفصلة أو مجتمعة في عدة أغراض دينية أهمها :

١ ـ بناء المساجد والأربطة والتكايا : تستعمل سيقان وجريد النخل والقنا والخيزران وسيقان وفروع الطلح والهشاب والسنط والهجليج والسيال واللبخ والنيم والحراز والدوم والمرخ في سقف المساجد وتشييد الأربطة والتكايا ومدارس القرآن الكريم «الخلاوي» إلى غير ذلك من الأغراض . كما يستخدم القش (Thatch) وقصب السكر للأغراض نفسها في «كردفان» «دارفور» وأطراف من شرق السودان وجنوبه(شكل٥) وأكثر ما يستخدم القش في بناء «الخلاوي» إذ وجد أن ٤٩٪ من جملة الخلاوي النظامية المسجلة لدى وزارة الأوقاف السودانية مبنية من القش (جدول ٣) . وكثيراً ما تحاط المباني المستعملة لأغراض دينية بأسوار شوكية عوضاً عن الأسوار الطينية ـ الشائعة في منطقة الجزيرة وعلى ضفاف النيل وروافده ـ لأن طبيعة التربة في غير منطقة الجزيرة وضفاف النيل قد لا تسمح بصناعة اللبن المستخدم في بناء مثل هذه الأسوار التي تبنى بهدف حماية المباني من الحيوانات أو لتحول بين الأتربة وبين طمر حيطان المباني في الرمال .

(*) المعلومات الواردة في هذا الجزء هي محصلة الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث خلال زياراته المتعدد والمتكررة لمجموعة من المراكز الدينية (شكل ١) .

الجدول رقم (٣) : مواد بناء مدارس تعليم القرآن الكريم النظامية (*)

مواد البناء / العدد والنسبة	طوب أحمر	طين (لبن)	قش (Thatch)	مواد بناء أخرى	المجموع
أعداد الخلاوي	٣٧	٥٥	١٠٠	١١	٢٠٣
النسب المئوية	٪١٨	٪٢٧	٪٤٩	٪٦	٪١٠٠

٢ـ الألواح : (شكل ٦) : فيما عدا حالات قليلة حيث تستخدم ألواح من النحاس والحديد لبعض الأغراض الدينية الخاصة . فإن الألواح غالباً ما تكون من الخشب . ومع توسع المد الإسلامي والتزام السودانيين المسلمين بتعليم أبنائهم القرآن ازداد الطلب على الألواح كثيراً .

واللوح رباعي الشكل عادة وله مقبض هلالي لتيسير حمله أو تعليقه على الجدران، وتختلف أحجام الألواح من طالب إلى آخر إذ يحتاج الطالب المبتدئ إلى لوح صغير نسبياً بينما يحتاج الطالب المتقدم في دراسته إلى لوح أكبر . ويحرص صنّاع الألواح على جعلها ناعمة حتى تسهل الكتابة عليها، ويستفيد الطلاب من الجير (الكلس) المتوافر في عدة مناطق في السودان في طلاء الألواح ومنحها سطحاً أبيض يعين على وضوح الكتابة التي تكون عادة بحبر أسود اللون . ومن فوائد الجير الذي تطلى به الألواح أنه يذهب النتوءات ويملأ الثقوب الصغيرة التي تظل بائنةً على سطح اللوح بسبب استخدام وسائل النجارة التقليدية مما لا يجعل سطح اللوح ناعماً تماماً ؛ ولأن الألواح تغسل كل يوم أو يومين لإزالة ما علق عليها من كتابة، ثم الكتابة عليها مرة أخرى فإن الحاجة إلى الجير تظل متجددة . وقد لاحظ الباحث الاستهلاك المتعاظم لهذه المادة خاصة في المراكز الدينية التعليمية الكبيرة حتى إن التجارة في الجير كانت ولا تزال مزدهرة على المستوى المحلي في هذه المراكز وما حولها .

(*) وزارة التربية السودانية (د . ت)، الخلاوى في السودان، دراسة ميدانية عن طريق العينة، الخرطوم.

وعادة تصنع الألواح من خشب «الهجليج» و«الحراز» و«السنط» و«التبلدي» وباستثناء التبلدي الذي ينحصر وجوده في إقليم كردفان فإن الأشجار الأخرى توجد بكثرة في كل حزام السودان المداري وتشترك هذه الأشجار في أنها من فصيلة واحدة هي فصيلة الشوكيات (Acacia) ولكثافة استخدام هذه الأشجار في صناعة الألواح وكوقود لإشعال النيران التي يقرأ في ضوئها القرآن فإن كل المراكز الدينية محاطة بشريط من اليابس كنتيجة لقطع الأشجار بشكل مستمر عبر فترات زمنية تطول وتقصر (شكل ٣) . كما أن اللوح في الغالب لا يصلح لأكثر من عشرين سنة مما يلزم استبداله بلوح جديد الشيء الذي يضاعف الحاجة إلى أخشاب هذه الأشجار . ومن المعجلات بافساد الألواح «السوس» الذي يؤدي إلى تآكل الألواح إذا ما وضعت على الأرض ولذلك توصلوا إلى تعليقها أو وضعها على الجدران أو وضعها على أرفف محلية معروفة باسم «الكتو» . وهو عبارة عن مجموعة من الأعواد المرصوصة بعناية على قوائم خشبية (شكل٧) . ولأن عرض اللوح يتراوح بين ٢٠ و٣٥ سم في الغالب الأعم فإن جميع الأشجار التي يقل سمكها عن الحد الأدنى لعرض اللوح لا تصلح لصناعة الألواح .

وقد يتساءل المرء عن إمكانية استبدال الألواح الخشبية بألواح بلاستيكية مثلاً ؟ فيما يبدو لي أن تعليم القرآن في الريف السوداني سوف يظل معتمداً على اللوح التقليدي الذي يرى فيه الكثيرون نوعاً من «البركة» وارتباطاً بالماضي وتقليداً تراثياً عملياً مستمداً من البيئة المحلية وتعد تكلفته قليلة إذا قيست بتكلفة الألواح البلاستيكية التي غالباً ما سوف تستورد أو حتى إذا صنعت محلياً فإن خاماتها قد تكون مرتفعة السعر مما لا يتيسر معه لكثير من طلاب الخلاوي الوصول إليها .

٣ـ الأقلام : (شكل ٨ـأ) : يعرف القلم الشائع الاستعمال في كتابة القرآن والمواد الدينية الأخرى باسم قلم «البوص» وتدل كلمة «بوص» في الاصطلاح «الدارج» السوداني على التجويف أي أن القلم مجوف من الداخل . وقلم البوص شبيه (بالريشة) ويغمس في الدواة (شكل ٨ ـ ب)

ويصنع من سيقان قصب الذرة المتوافرة في معظم أنحاء السودان لأن الذرة كما هو معلوم هي الغذاء الرئيس لمعظم السودانيين . كما تصنع أنواع أخرى من الأقلام من نبات «النال» خاصة في إقليمي كردفان ودارفور . ويتم تشكيل «سنة الريشة» لتعطي رأساً مدبباً يصلح لكتابة الحروف بصور مختلفة تتفاوت من الخطوط العريضة إلى الخطوط الرفيعة .

٤ ـ الحبر : ويعرف الحبر المستعمل في الكتابة على الألواح «بالعمار» وهو خلطة من صمغ الهشاب المطحون جيداً و « السكن Charcoal» اللاصق على أسطح القدور وكل ما يطهى عليه الطعام بالإضافة إلى الماء ويقوم الطلاب بإعداده وتحضيره . ويبدو أن صناعة الحبر «العمار» تعطي دليلاً قوياً على اعتماد المراكز الدينية على البيئة المحيطة في الحصول على كافة احتياجاتها من مواد الكتابة وسواها .

٥ ـ المسابح : (شكل ٩) : يستفاد من عدة أنواع من الأخشاب المحلية في صناعة المسابح وخاصة المسابح الكبيرة المعروفة «بالألفية» أي ذات الألف حبة أو «الخمسية» ذات الخمسمائة حبة . وهي عادة من المسابح الثقيلة غير القابلة للنقل من مكان لآخر . وتعرف هذه المسابح باسم مسابح (اللالوب) وهو اسم محلي لشجر «الهجليج» الشوكي الذي غالباً ما يستفاد من أخشابه في صناعة هذه المسابح وأضرابها .

كما يستفاد من شجر «الخيزران» الذي يتوافر في جنوب السودان وجبال النوبا بإقليم كردفان في صناعة المسابح الصغيرة المعروفة باسم مسابح «البقس» بالإضافة إلى طائفة من الأشجار التي توظف في صناعة مسابح أقل جودة وأرخص ثمناً . هذا وقد بدأت صناعة المسابح الخشبية بالتقلص في العقدين الأخيرين لأن الحجيج ساهموا في استجلاب أنواع من المسابح المصنوعة من البلورات الكيماوية الصناعية .

٦ ـ التبروقات (الصلايات) : مفردها «تبروقة» (شكل ١٠) وتصنع من الزعف المضفور ، وهي ذات شكل فني جميل يزيد من جماله الأصباغ الحمراء

والخضراء والسوداء التي تضاف إليه . كما يستخدم قصب الذرة المرصوص جوار بعضه البعض في صناعة نوع آخر من الصلايات المعروفة باسم «المقلوبة» وتستخدم خيوط مأخوذة من لحاء الشجر في وصل القصب بعضه بعضاً بحيث يعطي شكلاً جميلاً (شكل ١١) .

٧ـ الأبسطة : يستفاد من الزعف أيضاً في صناعة أبسطة المساجد وتعرف «بالبروش» كما تعرف الأنواع الكبيرة الحجم منها باسم «السباتة» أو «الكبشور» (الشكلان ١٢ و١٣) .

٨ـ الشبكة : توضع فيها الألواح وهي من الحبال القوية أو اللحاء المعالج بطريقة خاصة ليتحمل ثقل الألواح الخشبية (شكل ١٤) .

٩ـ الزغو : غالباً ما يكون من الخيش ويستعمل لحفظ الكتب أو الألواح أيضاً (شكل ١٥) .

١٠ـ العضل : في إقليمي دارفور وكردفان حيث تسود الرمال ولا يتوافر اللبن يستخدم الناس أعواداً من الشجر المحلي تعرف بالعضل لإغلاق القبور .

١١ـ المنبر : يصنع من الأخشاب أو جذوع الأشجار المحلية ليصعد عليه الإمام عند خطبة الجمعة ويجلس عليه بين الخطبتين وقد يستعمل في حالات أخرى مثل تقديم وعظ أو غيره (شكل ١٧) .

١٢ـ العكاز : عصاة ذات شعبتين عند أحد طرفيها يستند إليها إمام المسجد عند خطبته أو حديثه في المسجد (شكل ١٦) .

١٣ـ القدح : إناء خشبي ذو قطاع دائري يقدم فيه الطعام في مدارس تعليم القرآن الكريم (شكل ١٨) .

١٤ـ الشتم : قطعة جلد أو عصا خشبية صغيرة تستعمل في ضرب الدفوف والطبول عند حلقات الذكر الديني (شكل ١٩) .

١٥ـ الكنجي : طبل صغير ذو إطار خشبي يصنع من الأشجار المحلية ويغلف بالجلد المدبوغ بطريقة خاصة ويستخدم في الأذكار الدينية أيضاً (شكل ٢٠)

١٦ ـ العمرة : إناء اسطواني الشكل يصنع من الزعف ويقدم فيه الحليب واللبن في المسيد قديماً . وقد تلاشى استعمالها في الوقت الحاضر (شكل ٢١) .

١٧ ـ البطة : نوع من «القرع» الذي يأخذ شكلاً جميلاً ويحفظ بها السمن وخاصة عند الشيوخ في المناطق الريفية في غرب ووسط السودان إلا أن استعمالها لم يعد شائعاً كما كان عليه الحال في الماضي (شكل ٢٢) .

١٨ ـ القرض : هو ثمار شجرة السنط ويستعمل عند الشيوخ لعلاج كثير من الأمراض كما يدخل في طعام بعض الشيوخ فضلاً عن استعماله لدباغة جلود الحيوانات .

١٩ ـ الحلبة : حبوب صغيرة في حجم حبة القمح تقريباً يميل لونها للاصفرار ، ذات نقيع جيد وهي من المزروعات التي يوصي الشيوخ بها لعلاج الكثير من الأمراض (طب شعبي) .

٢٠ ـ بخور التيمان : نوع من اللبان الذي يستعمل بهدف طرد الشياطين والأرواح الشريرة .

٢١ ـ الزعفران : مثل سابقه يستعمل لأغراض مماثلة .

٢٢ ـ الأصباغ النباتية : تستعمل في تزيين الألواح التي يكتب عليها القرآن كما يستفاد منها في إبراز علامات الإعراب وخاصة ما كان منها أحمر اللون .

٢٣ ـ الككر : في حالة الإنعام على أحد تلاميذ الشيوخ بلقب أو رتبة دينية مثل مقدم أو شيخ . . . إلخ . . فإنه يجلس على كرسي تقليدي يصنع من الخشب المحلي ويعرف باسم الككر ويستفاد من السيور الجلدية أو لحاء الشجر في وصل وربط أجزاء هذا الكرسي (شكل ٢٣) .

٢٤ ـ البنبر : مثل الككر يستعمل للجلوس عليه في الخلوات (كتاتيب القرآن) ولكن تحت ظروف عادية (شكل ٢٤) .

٢٥ ـ صناعات أخرى : يستفاد من الأخشاب المحلية في صناعة أطر الدفوف والطارات (شكل ٢٥) والنوبات (شكل ٢٦) . كما يستعمل «القرع» قديماً (شكل ٢٧) كأباريق لحفظ ماء الوضوء أو غيره من ماء الطهارات .

٢٦ ـ الحطب : إلى وقت قريب ظل الحطب هو المصدر الأساسي للطاقة في السودان عامة ومراكز نشر العلوم الدينية وتعليمها خاصة، إذ فضلاً عن استعماله العادي في مجال الوقود لطهي الطعام والأغراض الأخرى المماثلة يستفيد الطلاب عادة من الحطب في توفير الإنارة الضرورية لقراءة القرآن (شكل ٢٨) وحرق البخور (شكل ٢٩) وليس يسيراً الوقوف على أي تقدير ذي قيمة علمية لاستهلاك حطب الوقود في الماضي أو حتى في وقتنا الحاضر وكل ما يمكن أن يشار إليه في هذا الصدد واستناداً إلى الملاحظة المجردة أن استهلاك حطب الوقود قد بدأ يسجل تراجعاً في المراكز الدينية بعد ظهور بدائل جديدة منذ فواتح هذا القرن حين أدخلت بعض تلك المراكز «الرتاين» التي تعمل بالكيروسين والمولدات الكهربائية أو في حالات أخرى الإضاءة الكهربائية القادمة عبر الأسلاك من أماكن بعيدة كما هو الحال في بعض قرى الجزيرة التي ينشط فيها تعليم القرآن والعلوم الدينية الأخرى . وإن المشكلة الكبرى بالنسبة للحطب أن المستهلك منه لا يتجدد بنفس معدل قطع الحطب وجمعه . كما أن هنالك مراكز دينية أخرى خارج الجزيرة استبدلت الحطب بالكهرباء مثل «الزريبة» التي تستعمل المولدات الكهربائية و«أم ضبان» التي تحصل على حاجتها من الكهرباء من شبكة كهرباء الخرطوم لقربها منها و«همشكوريب» في شرق السودان حيث تستعمل المولدات الكهربائية في الإنارة، بيد أن كل هذا التطور والتحول لا يقلل من أهمية الحطب كمصدر ضروري للإضاءة في المراكز الدينية النائية في كردفان ودارفور وشرق السودان .

ولا يقتصر استعمال الحطب على الإضاءة فقط بل إن «التكايا» التي توجد جنباً إلى جنب مع «خلاوي» تعليم القرآن الكريم وغالباً في المبنى نفسه أو «الحوش» فيما يعرف اصطلاحاً «بالمسيد» تعتمد على الحطب والفحم النباتي في طهي الطعام لمقابلة احتياجات الضيوف المقيمين في «التكايا» والزوار . وقد اضطرت الخلاوي الكبيرة لجلب حطب الوقود من أماكن بعيدة إبان فترات القحط والجفاف المتكررة إذ إن عدد رواد التكايا وخاصة من النازحين

والمعوذين يزداد بصورة كبيرة خلال هذه الفترات . والشيء نفسه ينطبق على طلاب الخلاوي التي شهدت انتعاشاً إبان هذه الفترات أيضاً . ويبدو أن السبب في تحول «الخلاوي والتكايا» إلى مراكز جذب واستقطاب للمهاجرين أنها توفر طعاماً مجانياً وتعليماً دون مقابل مادي لمن يرغب .

وكما تختلف الكميات المستهلكة من الحطب من خلوة إلى أخرى فإنها تختلف من وقت لآخر إذ يزيد الاستهلاك خلال عيدي الفطر والأضحى وليلة النصف من شعبان والسابع والعشرين من رجب وأيام الاحتفالات الدينية الأخرى حين تفد أعداد كبيرة من المريدين والتلاميذ والزوار .

٣ . ٢ الموارد الحيوانية

يؤثر الدين في الموارد الحيوانية من عدة وجوه لعل أهمها :

١ ـ أ ـ أن انتقال طلاب الخلاوي وزوار المراكز الدينية من وإلى هذه المراكز الدينية لا يزال يتم عن طريق الدواب لاسيما في المناطق الريفية النائية، ألا أنه مع ظهور السيارة والقطار تضاءلت أهمية الحيوان كوسيلة ناقلة .

ب ـ نقل المواد الغذائية والماء وحطب الوقود على ظهور الدواب إلى المراكز الدينية من محيطها المباشر غالباً أو غير المباشر أحياناً .

٢ـ الحيوانات هي المصدر الأساسي للألبان واللحوم في هذه المراكز الدينية ، أي أنها تسهم في الأمن الغذائي لهذه المراكز .

٣ـ تدخل أصواف الحيوانات وأوبارها في صناعة الخيام والملبوسات والحبال و«المخالي» و«الأخراج» الضرورية للكثير من المؤسسات الدينية والمرتبطين بها لاسيما في الأرياف البعيدة النائية (الشكلان ٣٠ و٣١) .

٤ـ الاستفادة من روث الحيوانات في تسميد الأراضي الزراعية التي تقع تحت إدارة رئيس المؤسسة الدينية أو منسوبيها ؛ وخاصة الأراضي التي تنتج الخضراوت .

٥ـ أما أهم استعمال للموارد الحيوانية في إطار الاحتياجات الدينية فيتمثل في الجلود . وقد حصر الباحث حوالي ثلاثين نمطاً من أنماط استعمالات الجلود مما له علاقة بالدين أو المراكز الدينية (جدول٤) .

الجدول رقم (٤): بعض أنماط استعمال الجلود لأغراض دينية

م	نمط الاستعمال	الغرض من الاستعمال	الملاحظـــــــات
١	الصلايات أو«المصالي» مفردها مصلاة	أداء الصلاة	غالباً ما تكون من جلود الضأن أو الماعز أو الغزلان، وتدبغ هذه الجلود بطريقة خاصة باستعمال (القرض) من وجهها الداخلي بينما يترك الوجه الذي عليه الصوف دون دباغة أو معالجة ليعطي المصلاة درجة من النعومة (شكل ٣٢).
٢	الدف	الأذكار الدينية	تصاحب الأذكار الدينية الجماعية
٣	الطبل	الأذكار الدينية	تصاحب الأذكار الدينية الجماعية
٤	الطار	الأذكار الدينية	تصاحب الأذكار الدينية الجماعية
٥ ٦ ٧	السقاء القربة السعن	حمل الماء بهدف الاستعمالات اليومية والطهارات من مصادره إلى المراكز الدينية	يحمل السقاء أو القربة أو السعن على حمار أو جمل أو ثور كما هو في بعض مناطق غرب السودان (الأشكال ٣٣ـ ٣٤ـ ٣٥).
٨	البطان	سير جلدي عريض لتثبيت السرج على ظهر الدابة، حماراً، جملاً أو ثوراً (شكل٣٦)	
٩	البردعة	مسند جلدي يوضع على السرج ليجعل الركوب مريحاً (شكل٣٧)	
١٠	الخرج	غالباً ما يستعمل لنقل الكتب والألواح من مكان إلي آخر ويوضع على ظهر الدابة بحيث يتدلى طرفاه من جنبيها	

تابع الجدول رقم (٤)

م	نمط الاستعمال	الغرض من الاستعمال	الملاحظـــــــــات
١١	البـنـبـر (مقعد)	البنبر عبارة عن مقعد تقليدي مثله مثل العنقريب (شكل ٢٤) ويصنع نسيج البنبر من الحبال والجلود وحديثاً من الحبال البلاستيكية	
١٢	الكبك	صندوق جلدي صغير لحفظ المصاحف والكتب القيمة (شكل ٣٨)	
١٣	أغلفة الكتب الجلدية	لحفظ الكتب من عوادي الزمن والتآكل والاهتراء (شكل ٣٩)	

٣.٣ المــاء

الماء محدد رئيس Limiting Factor لنوع وطبيعة الحياة في كل مكان . ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد جعل من الماء كل شيء حي : ﴿ **أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ** ﴿٣٠﴾ ﴾ (سورة الأنبياء) . من هنا نجد أن كل المناطق السودانية البعيدة عن النيل والتي تنال قسطاً من المطر دون حد ٦٠٠ ملم في العام تعاني من نقص كبير في كمية المياه الضرورية لمقابلة احتياجات الناس وحيواناتهم ونشاطهم الزراعي لهذا المورد المهم (Bein, 1981, p.430) والمناطق نفسها هي التي تضم أكبر عدد من المراكز الإسلامية وتتمتع بأعلى كثافة سكانية إسلامية . وتتضح معاناة هذه المراكز في الحصول على الماء خلال فترات الجفاف الموسمية والدورية . ومنذ البداية استشعرت هذه المراكز مدى الحاجة الشديدة للمياه ولذلك لجأت إلى حفر « حفائر » Traditional Reservoirs لتجميع مياه الأمطار

والسيول . وبالطبع فلا يمثل «الحفير» إلا شكلاً واحداً من أشكال موارد المياه بالنسبة للمراكز الدينية، فهناك موارد أخرى مثل نهر النيل وروافده والآبار وغير ذلك .

ومن حيث أهميتها النسبية للمراكز الدينية فإن موارد المياه يمكن ترتيبها كما يلي من واقع دراسة الباحث الميدانية :

١ ـ النيل وروافده .
٢ ـ الآبار .
٣ ـ الحفاير .
٤ ـ الأودية .

وكما تتعدد موارد المياه تتعدد استعمالاتها في المراكز الدينية . وتنحصر هذه الاستعمالات في :

١ ـ الطهارة والنظافة :
أ ـ الوضوء .
ب ـ الغسل .
جـ ـ نظافة الثياب والأبدان .
د ـ غسل الموتى .
٢ ـ الاستعمالات اليومية العادية كالشرب والطهي . . . إلخ .
٣ ـ سقيا الحيوانات الضرورية لهذه المراكز .

٣ . ٤ التربـة

لعل أهم علاقة تربط بين الدين والتربة بوصفها مكوناً رئيساً للبيئة هو إسهامها في تحديد كم ونوع الإنتاج الزراعي الذي يوفر الغذاء الضروري لطلاب وزوار المؤسسات الدينية المبثوثة في كل الريف السوداني .

كما أن المس على التراب «التيمم» يمثل الوسيلة الثانية بعد الماء لتحقيق الطهارة اللازمة لكل العبادات الإسلامية وذلك بكيف محدد وتحت ظروف خاصة . أما المجالات الأخرى للاستفادة من التربة في أغراض دينية فيمكن أن نتبينها من (جدول ٥) .

الجدول رقم (٥) : بعض استعمالات التربة لأغراض دينية(*)

نمط استعمال التربة	الغرض من الاستعمال	الملاحظات
الإبريق	حفظ الماء للوضوء	شكل (٤٠)
الركوة	حفظ الماء للوضوء	شكل (٤٠)
الدواة	حفظ الحبر (العمار)	شكل (٨)
الحبر الملون	تزيين الألواح التي يكتب عليها	شكل (٦)
اللبن والطين	بناء المساجد والخلاوي والتكايا والقباب وإغلاق القبور	
الطوب الأحمر	بناء المساجد والخلايا والتكايا	

(*) الملاحظة الشخصية

الخاتمة

بعد هذا العرض لتأثير الإسلام في البيئة في السودان وما لذلك التأثير من أبعاد أمنية ، نخلص إلى ما يلي :

١ ـ أن البحث يعد رائداً في مجاله إذ لا يعلم الباحث عن أي دراسة سابقة تناولت تأثير الدين بعامة والإسلام بخاصة في البيئة في السودان من الزوايا والمداخل نفسها التي تناولها بها هذا البحث .

٢ ـ لقد سعى الباحث إلى إبراز الروابط والمؤشرات الدالة على تأثير الدين في البيئة في السودان . ويمكن لهذه الدراسة على تواضعها أن تسهم إلى حدٍ ما في تأصيل الدراسات البيئية والعلوم الإنسانية إسلامياً .

٣ ـ ثبت أن تأثير الدين في أي جانب من جوانب البيئة طبيعياً كان أو بشرياً يتضمن بعداً أمنياً واضحاً وان ذلك البعد الأمني على درجة عالية من التنوع والتعقيد . بعبارة أخرى فإن تعدد وجوه البعد الأمني فيه من الدلالة ما يكفي للدلالة على أن

عمليات تأثير الإسلام في البيئة يصاحبها ويترتب عليها كل أو جل مكونات الأمن الشامل وإن كانت في إطار بيئي .

٤ ـ على الرغم من أنه يمكن تلمس أثر الإسلام في جميع جوانب البيئة في السودان إلا أن ذلك الأثر يبدو أكثر وضوحاً في البيئة البشرية منه في البيئة الطبيعية .

٥ ـ كان السلوك الديني دافعاً لظهور كثير من الأدوات والمصنوعات مثل الأباريق والمصليات والمسابح وغيرها .

شكل (٢)
نموذج تصويري (HYPOTHETICAL MODEL) لمورفولوجية
أحد المراكز الدينية في المناطق السهلية
البعيدة عن النيل.

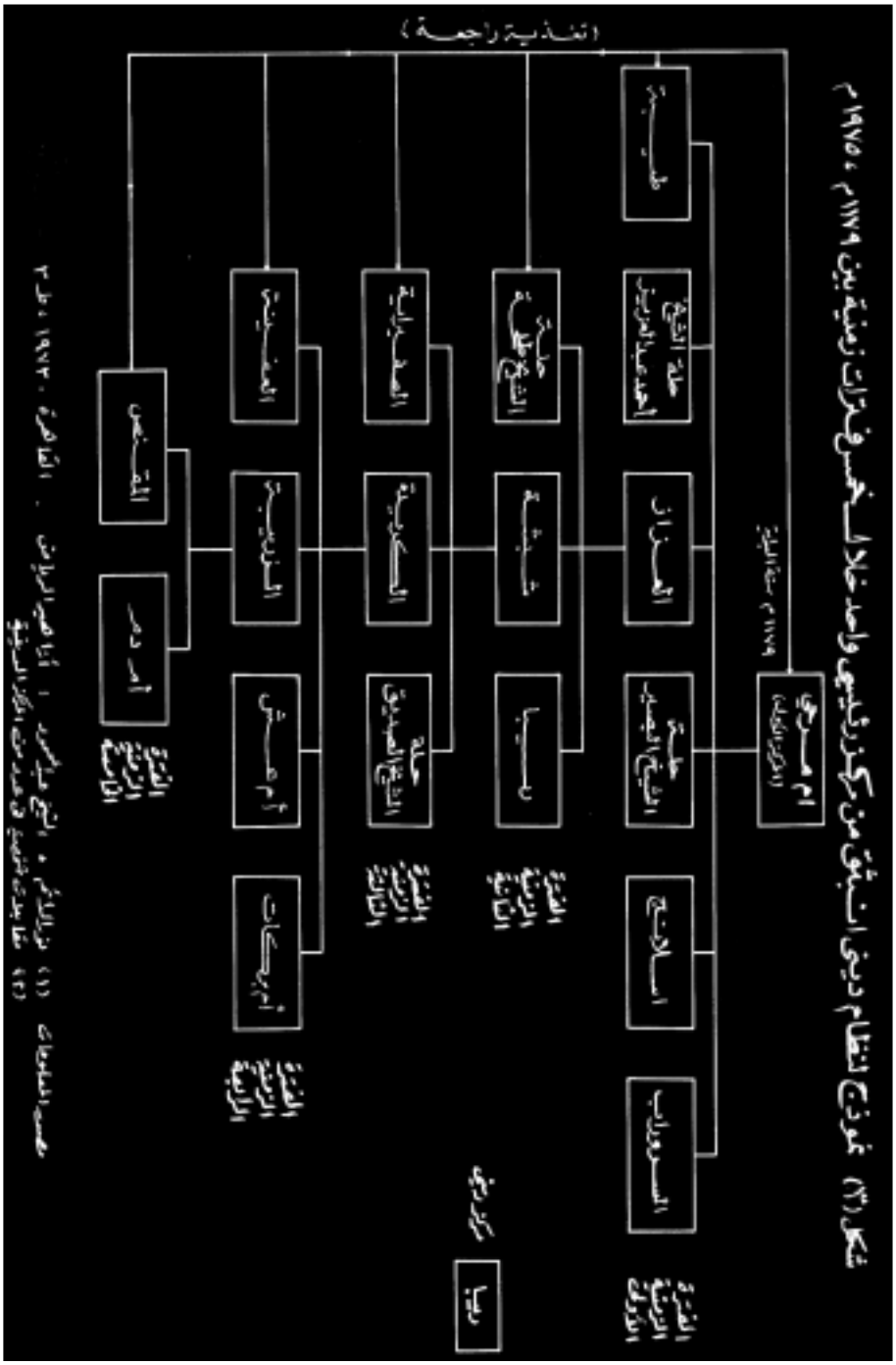
شكل (٣) نموذج لنظام دينى انسيابى من مركز رئيسى واحد خلال خمس فترات زمنية بين ١١٧٩م ، ١٩٧٥م
(التغذية راجعة)
١١٧٩م سنة البداية
ام مدرمى
(المركز الرئيسى)
طلبة الشيخ أحمد عبد العزيز
طلبة الشيخ الفيصل
طلبة الشيخ عبد الله
المزار
الملاذ
السرداب
شبشة
ريبا
الكدرية
المدرسة
المضيئة
المدرسة
أم دمر
المقنص
أم عش
أم ركبات
الفترة الزمنية الأولى
الفترة الزمنية الثانية
الفترة الزمنية الثالثة
الفترة الزمنية الرابعة
الفترة الزمنية الخامسة
مركز رئيسى
ريبا

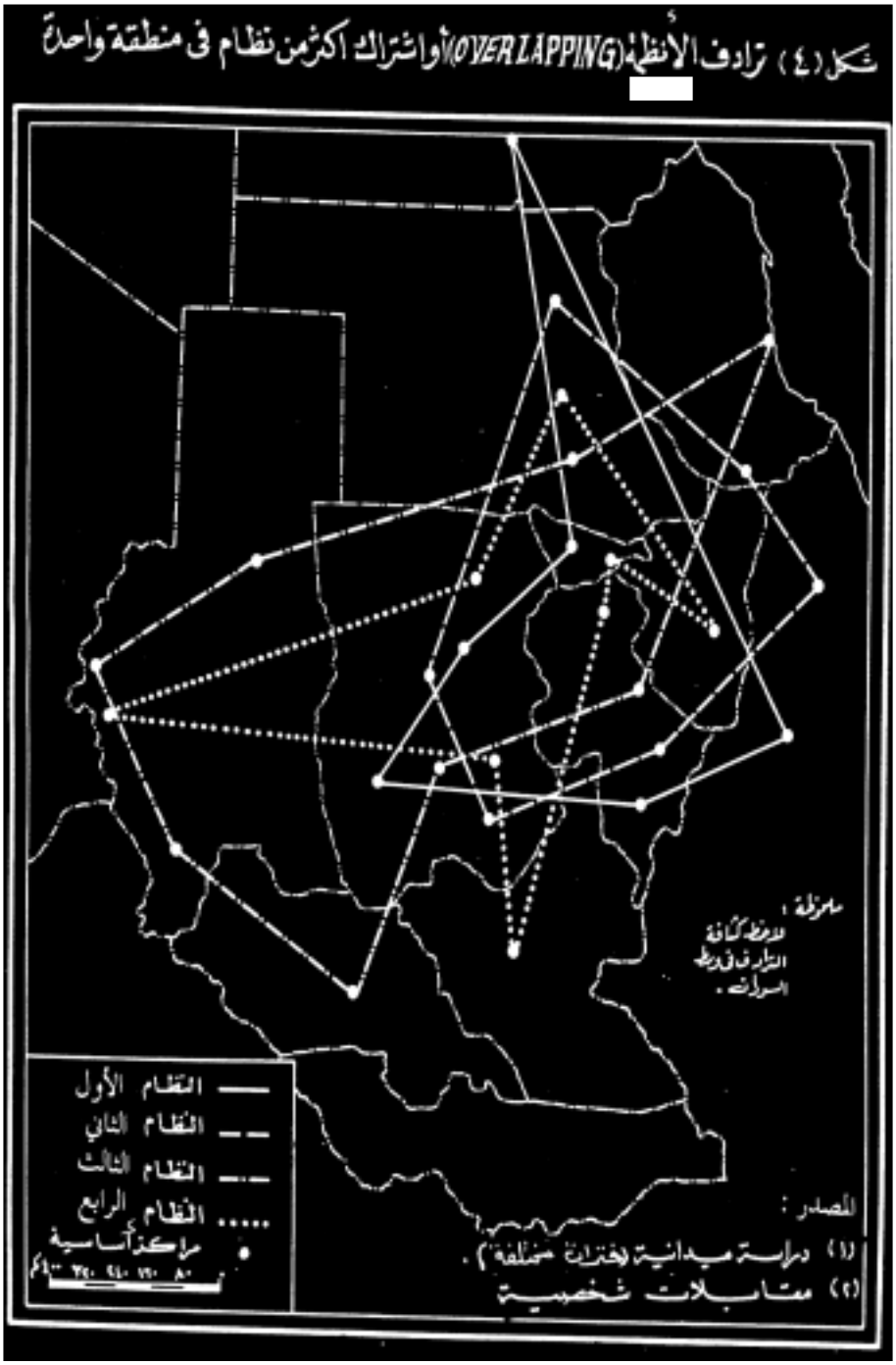

شكل (٤) ترادف الأنظمة (OVERLAPPING) أو اشتراك أكثر من نظام في منطقة واحدة

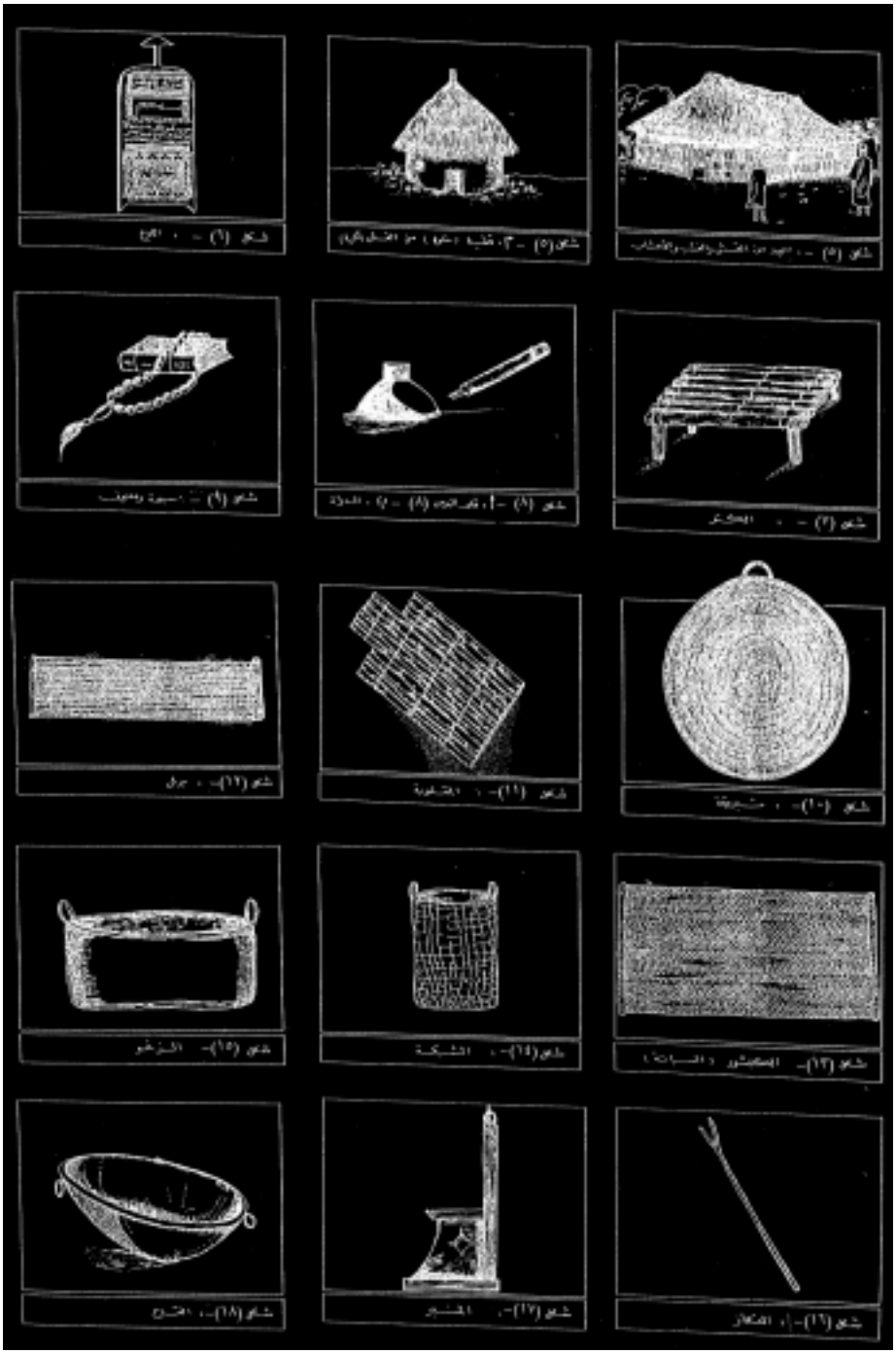

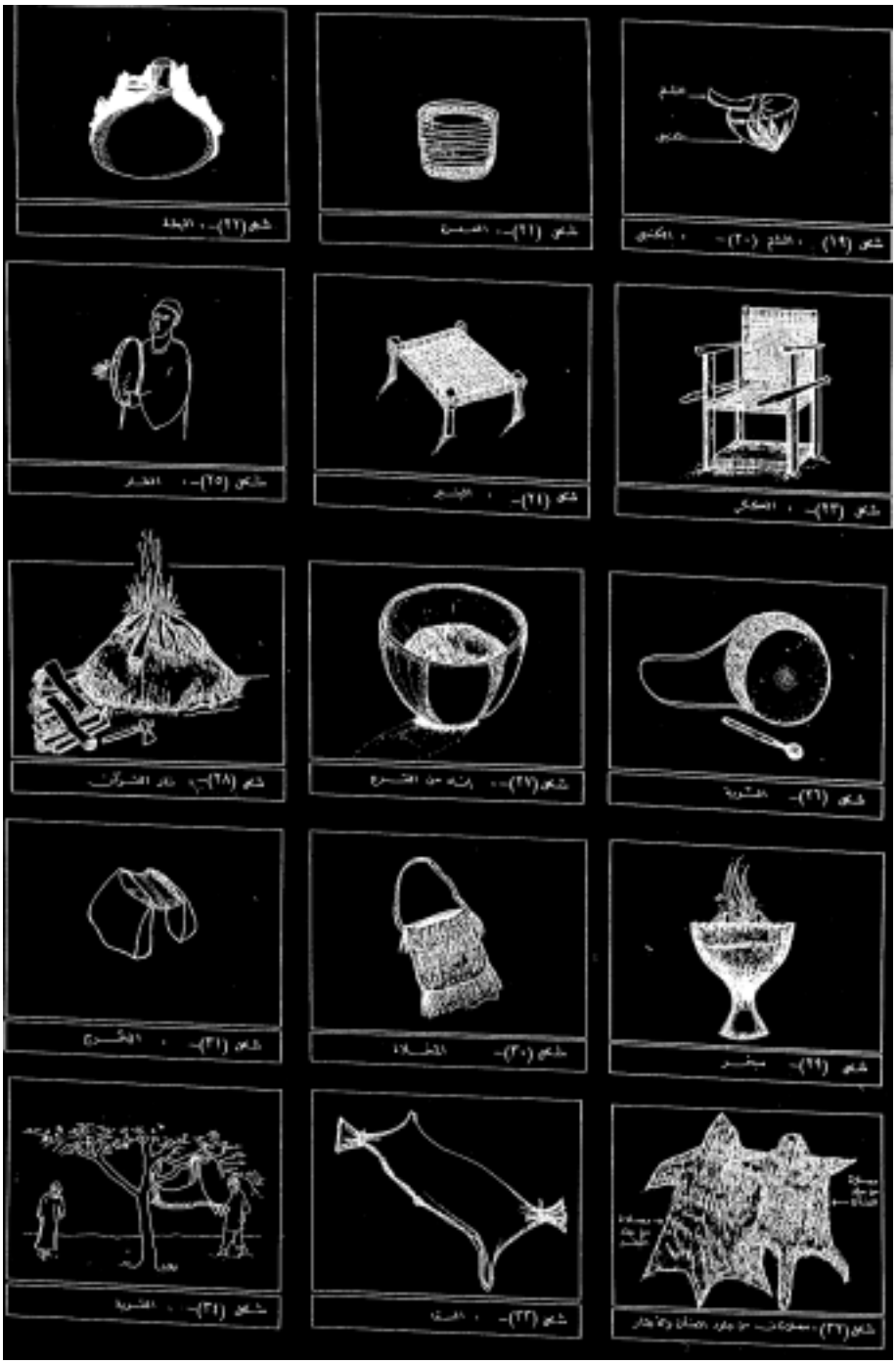

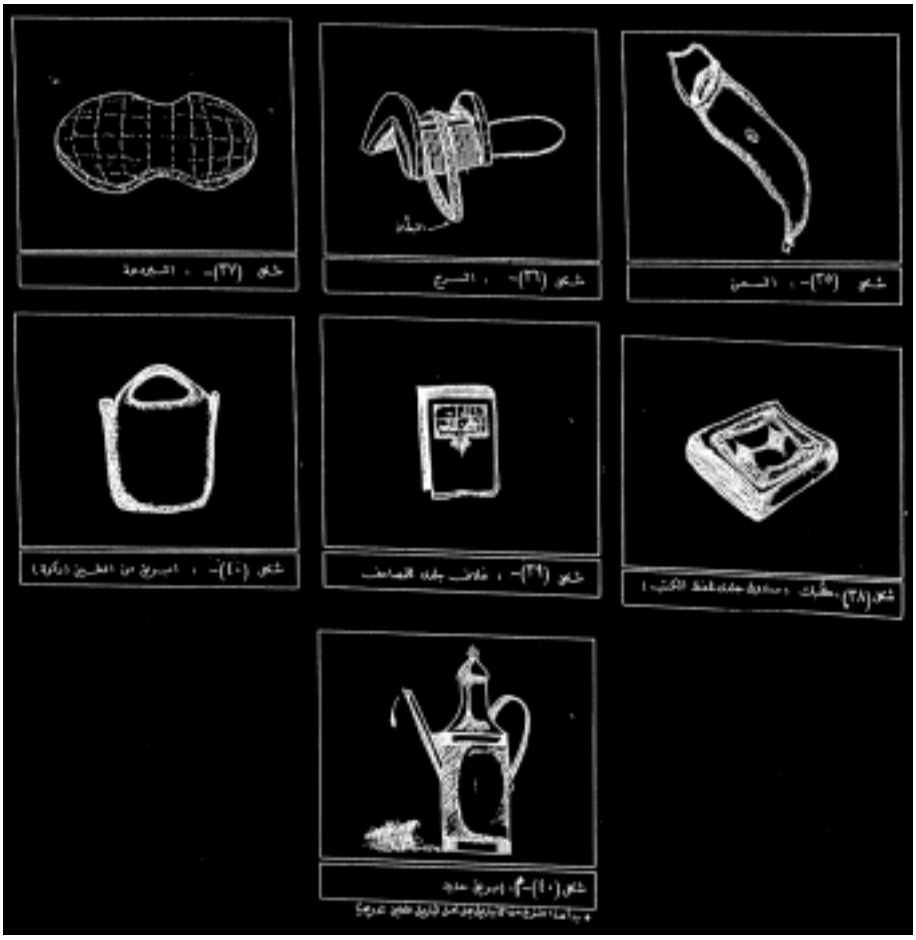
شكل (٣٦)- : السمن
شكل (٣٧)- : الشوربة
شكل (٣٨)- : صابون حلاقة لتنظيف الكتب
شكل (٣٩)- : إبريق حديد

المراجـــع

أولاً: المراجع العربية

القرآن الكريم .

إبراهيم ، محمد المكي (١٩٧٦) ، الفكر السوداني أصوله وتطوره . وزارة الثقافة والإعلام السودانية ، الخرطوم .

إبراهيم ، يحيى محمد (١٩٩٥) ، دراسات سودانية في التربية والثقافة ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت .

أبو علي ، الحاج أحمد (١٩٦١) ، مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية . تحقيق الشاطر بصيلي عبد الجليل . الإدارة العامة للثقافة . وزارة الثقافة والإرشاد القومي . جمهورية مصر العربية .

الأمين ، عبد الله عبد الرحمن (د . ت) اللغة العربية في السودان . القاهرة .

أحمد ، سعاد عبد العزيز (١٩٧٩) ، التعليم غير الحكومي في شمال السودان ١٨٩٨ـ ١٩٥٦ ، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب ، جامعة الخرطوم .

أحمد ، سعاد عبد العزيز (١٩٩٠) ، قضايا التعليم الأهلي في السودان . دار جامعة الخرطوم للنشر ، الخرطوم .

أرنولد ، سير توماس . و . (١٩٧٠) ، الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية . ترجمة د . حسن إبراهيم وآخرين ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ط٣ .

الأصم ، الأصم عبد الحافظ أحمد (١٩٩١) ، الجريمة في السودان : دراسة لأبعادها المكانية . أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية . الرياض .

ـــــــــــــــ، (١٤٢٠هـ) ، العلاقات المكانية بين شبه الجزيرة العربية والسودان الشرقي ـ دراسة لأبعادها الحضارية والأمنية والتاريخية ، المجلة العربية

للدراسات الأمنية ، العدد ٢٧ . أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية . الرياض .

ـــــــــــــــ ، (٢٠٠٢) ، رؤية جغرافية لانتشار اللغة العربية في جنوب السودان ، العقيق مج ١٩ ع٣٧ وع٣٨ ، ص ص٦١-١٣٠ .

إسلام ، أحمد مدحت (١٩٩٠) ، التلوث مشكلة العصر ، عالم المعرفة ، العدد ١٥٢ ، الكويت .

بدري ، بابكر (١٤١٠هـ) ، حياتي ، تحقيق ومراجعة د . بابكر علي بدري ، أم درمان ، السودان .

بدري ، يوسف (١٩٧٢) ، الخلوة والمدرسة والمجتمع الحديث، مجلة التوثيق التربوي ، العدد ٢٢ ، الخرطوم .

البشرى ، محمد الأمين (٢٠٠٠) ، الأمن العربي : المقومات والمعوقات . الرياض : أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية .

البشير ، عبد الله الشيخ (١٤٠٠هـ) » التربية في المسجد والكتاب (الخلوة) « بحث مقدم لندوة خبراء أُسس التربية الإسلامية ، مكة المكرمة .

بشير ، محمد عمر (١٩٨٧) ، تاريخ الحركة الوطنية في السودان ١٩٠٠-١٩٦٩ ، ترجمة هنري رياض ووليم رياض والجنيد علي عمر ، مراجعة نور الدين ساتي ، المطبوعات العربية للتأليف والترجمة ، الخرطوم ، ط٢ .

ـــــــــــــــ ، (١٩٨٨) ، التعليم والوحدة الوطنية ، في دراسات في الوحدة الوطنية في السودان ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ص ص١٦٩-١٨٩ .

تميم ، عبد الهادي محمد عمر (١٩٩٧) ، اللغة العربية في المجتمع ـ الأنموذج السوداني ، دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة والنشر ، السودان .

الجميلي ، السيد (١٩٩٧) ، الإسلام والبيئة ، مركز الكتاب للنشر ، القاهرة .

الحاج ، معتصم أحمد (١٩٧٣) ، الخلوة وأثرها الثقافي والاجتماعي في السودان

من القرن ١٦ حتى نهاية القرن ١٩ في محاور، العدد الثالث، ص ص٦١-٧٦.

ـــــــــــــــ، (١٩٨٣)، الخلاوي في السودان: نظمها ورسومها، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية.

حجاب، محمد منير (١٩٩٩)، التلوث وحماية البيئة، قضايا البيئة من منظور إسلامي، دار الفجر للنشر والتوزيع.

رشوان، محمد أحمد (١٤١٨هـ)، تلوث البيئة وكيف عالجه الإسلام. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

السكري، علي علي (١٩٩٥)، البيئة من منظور إسلامي، منشأة المعارف، الإسكندرية.

السيد، ناصر (١٩٩٠)، تاريخ السياسة والتعليم في السودان، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، ط٢.

شريف، محمد الأمين (١٩٩٦)، تاريخ مدينة كسلا، منذ نشأتها وإلى نهاية دولة المهدية، دار شرفتيقا للنشر.

شريل، كمال موريس (١٩٩٨)، الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، دار الجيل، بيروت.

شقير، نعوم (١٩٨١)، تاريخ السودان، تحقيق د. محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجيل، بيروت.

ضيف الله، محمد النور (١٩٧٤)، كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تحقيق يوسف فضل حسن، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، ط٢.

عبد الجليل، موسى آدم، خلاوي دارفور: دراسة في وظائفها وخلفيتها الاجتماعية. بحث غير منشور.

عبد الرحيم ، جعفر محمد (١٩٧٣) ، تاريخ القرآن في السودان ، مصلحة الدراسات الدينية ، الخرطوم ، السودان .

عبد العظيم ، أحمد عبد العظيم (١٩٩٩) ، الإسلام والبيئة ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية .

عطية ، فيليب (١٩٩٢) ، أمراض الفقر : المشكلات الصحية في العالم الثالث ، عالم المعرفة ، العدد ١٥٢ ، الكويت .

عبد المجيد ، عبد العزيز (١٩٤٩) ، التربية في السودان . القاهرة .

الطيب ، د . عبد الله (١٩٨٢) ، الهجرة إلى الحبشة وما وراءها من نبأ . ورقة بحث قدمت إلى الندوة الثالثة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية .

الطيب ، محمد الطيب (١٩٩١) ، المسيد ، مطبعة جامعة الخرطوم ، الخرطوم .

قاسم ، د . عون الشريف (١٩٨٨) ، حلفاية الملوك ـ التاريخ والبشر . دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة والنشر .

قريب الله ، حسن الفاتح (١٩٦٨) ، التصوف في السودان إلى نهاية عصر الفونج ١٨٢١ ، رسالة ماجستير ، قدمت لقسم الفلسفة ، جامعة الخرطوم .

محمد أحمد ، حسن مكي (١٩٨٣) ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ، الخرطوم .

مسعد ، مصطفى محمد (١٤١٩هـ) ، انتشار الإسلام في إفريقيا . الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي . المجلد الأول . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الرياض ص ص٣٥٥ـ٥٩٢ .

ـــــــــــــــ ، (١٩٧٥) ، : معاهدة البقط . نمط فريد في مجال العلاقات الدولية في الإسلام في مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية . العدد الخامس (١٩٧٥) . ص ص٤٧١ـ٤٨٦ .

نور الدائم ، الشيخ عبد المحمود (١٩٧٣) ، أزاهير الرياض . القاهرة .

النور ، يوسف إبراهيم (د . ت) ، مع المصاحف . الخرطوم .

هولت ، ب . م (١٩٨٦) ، الأولياء والصالحون في السودان . ترجمة هنري رياض والجنيد علي عمر ، دار الجيل ، بيروت .

وزارة التربية السودانية (د . ت) ، الخلاوي في السودان ـ دراسة ميدانية عن طريق العينة .

وزارة الأوقاف السودانية : التقرير السنوي (عدة سنوات) .

ثانياً: المراجـع الأجنبيـة

Al Assam, A. A.: An Analysis of the Diffusion of Religious Orders and their Socio-Economic Impact on the Rural Setup within the Middle Nile Axis. Unpublished ph.D Dissertation Presented to The University,of Khartoum 1983 .

Abdin, Abd-El- Magid, (1959), Some General Aspects of the Arabization of the Sudan in Sudan Notes and Records, Vol. 40, pp. 58-75.

AL - Karasani, Awad, (1985), The Majdhubiyya Tariqa and its Doctorine,Publications of the University of Khartoum.

AL - Naqar, Umar (1972), The Pilgrimage Tradition in West Africa. KUP. Khartoum.

AL - Tom, A. O. (1982), Berti Quranic Schools, Sudan Notes Records, Vol. Lxii .

Broek, J. O. M. and Webb, J. W. (1968), A Geography of Mankind, McGraw Hill Book Company , Chapter 6, pp. 124-151.

Deffontaines, p. (1953), The Religious Factor in Human Geography in Diogenes No. 2 pp. 24-37.

De Planhol, X. (1959), The World of Islam, Ithaca, N. Y.

Fickler, p. (1962), Fundamental Questions in the Geography of Religions in Mikesell, M. and Wagner, p. (eds) Readings in Cultural Geography, Chicago, pp. 94-117..

Gunn, Angus M. (1978), Habitat: Human Settements in an Urban Age. Pergamon Press.

Hassan, Y. F. (1973) , The Arabs and the Sudan, KUP, Khartoum.

Isaac, E. (1961), Religion, Landscape and Space in Landscape, Vol. 10 No. 14.

Langton, (1972), Potentialities and Problems of Adopting A Systems Approach to the Study of Change in Progress in Human Geography, Vol. 4, p. 125.

Osman, A. Muhammad, (1985), The Mikashfiyya: A Sufi Tariqa in the Modern Sudan in Daly, M. W. (ed.) , AL Majdhubiyya and AL Mikashfiyya: Two Sufi Tariqas in the Sudan , Publications of the Graduate College at the Univ. of Khartoum. 1985. 101-146.

Sopher, David E. (1967), Geography of Religions, a Monograph in Foundations of Cultural Geography Series. Prentice Hall, Inc. Englewood Cliffs, N. J. Prentice Hall inc .

Trimingham, J. Spencer. (1949), Islam in the Sudan. London. Oxford Univ. Press .

World Almanac & Book of Facts, (2002), New York .

The World Bank, (2000), World Development Indicators, Washington, D.C .

ملحق رقم (١): المراكز الدينية المهمة على عهد الفونج (١٥٠٤ ـ ١٨٢١م)

إحداثيات العرض والطول Coordinates

عدد	المركز الديني	دائرة العرض (ش)	خط الطول (ق)	عدد	المركز الديني	دائرة العرض (ش)	خط الطول (ق)	عدد	المركز الديني	دائرة العرض (ش)	خط الطول (ق)	عدد	المركز الديني	دائرة العرض (ش)	خط الطول (ق)
١	ود الفقر (ود رعية)	١٤ ٢٥	٣٣ ١٠	٢٥	الكويرة	١٦ ٣٠	٣٢ ٥١	٤٩	سواكن	١٩ ٠٧	٣٧ ٢٠	٧٣	أبو عشر	١٤ ٥٥	٣٣ ١١
٢	الفاقل	١٤ ١٥	٣٣ ٠٠	٢٦	أم مرحي	١٣ ٠٣	٣٣ ٥٧	٥٠	القعب (قصب)	١٩ ١٥	٣٠ ٠٧	٧٤	الحلفاية (حلفاية الملوك)	١٥ ٤٢	٣٢ ٣٣
٣	رارسي	١٦ ٠٥	٣٢ ٣٥	٢٧	مريفات	١٦ ٢٥	٣٢ ١٧	٥١	كلكول	١٥ ٠٧	٣٣ ١١	٧٥	الصبابي	١٥ ٣٨	٣٢ ٣١
٤	الفكيت	١٦ ١٠	٣٢ ٣٦	٢٨	الحسيب	١٥ ٢٦	٣٣ ٢٢	٥٢	كازقيل	١٢ ٤٨	٣٠ ١٠	٧٦	الهلالية	١٤ ٥٦	٣٣ ١٤
٥	العزازة	١٤ ٥٩	٣٢ ٤٩	٢٩	أربجي (الفقراء)	١٤ ٣٩	٣٣ ٢٠	٥٣	ألتي	١٥ ١٦	٣٢ ٥١	٧٧	ترابج	١٨ ٤٠	٣١ ٥٦
٦	أم دوم	١٥ ٣٢	٣٢ ٣٧	٣٠	جبل أرائل	١٤ ٠٦	٣٤ ١٣	٥٤	الفراي	١٥ ٠٨	٣٣ ٠٨	٧٨	الفركي الأحمدي	١٦ ٣٥	٣٣ ١١
٧	جبل سقدي	١٣ ٥٣	٣٣ ١٠	٣١	القضارف	١٤ ٠٢	٣٥ ٢٤	٥٥	أبو رهو	١٧ ١٨	٣٤ ٣١	٧٩	السيالوية	١٥ ٢٦	٣٢ ٤٣
٨	جبل موية	١٣ ٢٨	٣٣ ٢٢	٣٢	الشرف (جبل)	١٥ ٠٠	٤٢ ٣٥	٥٦	صواردة	٢٠ ٣٤	٣٠ ١٩	٨٠	رفاعة	١٤ ٤٦	٣٣ ٢٢
٩	القدو	١٦ ٢٨	٣٣ ١٦	٣٣	وادي شعير	١٤ ٢٨	٣٣ ٠٤	٥٧	أبكر	١٣ ٥١	٣٢ ٢٧	٨١	جبل أم علي	١٧ ٠٣	٣٣ ٤٣
١٠	أبو زريبة (مشرع)	١٣ ٤٩	٣٣ ٥٩	٣٤	الهدج	١٥ ١١	٣٣ ٠٨	٥٨	كركوج	١٢ ٥٦	٣٤ ٠١	٨٢	الشديد	١٥ ٢٠	٣٢ ٤٨
١١	القليع	١٥ ١٠	٣٢ ٤٣	٣٥	اسلانج	١٥ ٥٤	٣٢ ٢٣	٥٩	أم طلحة	١٤ ٠٦	٣٢ ٥٨	٨٣	أبيض ديري	١٦ ٠٧	٣٢ ٣٥
١٢	البشاقرة	١٥ ١٣	٣٣ ٠٥	٣٦	الكي	٠٩ ٤٠	٢٨ ٢٣	٦٠	الشقيق	١٥ ٢٦	٣٢ ٢٩	٨٤	الكرمة	١٤ ٥٧	٣٣ ١٤
١٣	سنجار	١٣ ٥٣	٣٣ ٣٢	٣٧	دليل	١٣ ٤٣	٢٩ ١٨	٦١	الفرشكول	١٤ ١٠	٣٢ ٠٦	٨٥	أم عضام	١٤ ٠١	٣٢ ١٢
١٤	جبل أولياء	١٥ ١٤	٣٢ ٢٩	٣٨	ود حسونة	١٥ ٢٥	٣٣ ١٤	٦٢	حلة أبو حلالة	١٤ ٥٩	٣٣ ٣١	٨٦	أبو حراز	١٤ ٢٩	٣٣ ٣١
١٥	تربة إبراهيم	١٣ ١٩	٣٣ ٥٢	٣٩	المسلمية	١٣ ٢٥	٣٣ ٢٣	٦٣	الطقاقة	١٤ ٠٥	٣٣ ٣٤	٨٧	بيلة (جبل)	١٣ ٤١	٣٣ ٥١
١٦	الشامر	١٧ ٣٥	٣٣ ٥٨	٤٠	كجبوي (جزيرة)	١٦ ٢٣	٢٩ ٤٧	٦٤	الجزيرة اسلانج	١٦ ٣٣	٣٢ ٥٧	٨٨	تربة عشي	١٣ ١٨	٣٣ ٥٠
١٧	جبل سركم	١٠ ٤٤	٣٤ ٥٣	٤١	الحسيرية	١٥ ٥١	٣٣ ١٦	٦٥	[illegible]	١٧ ٣٩	٣٤ ٠٩	٨٩	دلوت	١٤ ٣٧	٣٣ ٢٥
١٨	أبو سرار (جبل)	١٤ ٠٥	٣٠ ٣٢	٤٢	أقبيلاد	١٦ ٢٣	٣٣ ١٥	٦٦	حجر العسل	١٦ ٢٩	١٨ ٣٩	٩٠	الكلكة	١١ ٠٢	٢٩ ٢٠
١٩	أم شانق	١٣ ٢٩	٣٣ ٣٤	٤٣	رأس الفيل	١٣ ٠٢	٣٦ ٠١	٦٧	شندي	١٦ ٤٩	٣٤ ٢٧	٩١	الدبة	١٨ ٠٣	٣٠ ٥٧
٢٠	الداخلة	١١ ٣٧	٣٤ ٢٣	٤٤	سقادي غرب	١٧ ٠٦	٣٣ ٤٠	٦٨	قوز رجب	١٦ ٠٣	٣٥ ٣٣	٩٢	القراد	١٥ ٥٠	٣٤ ٠٠
٢١	كوة ماززود	١٤ ١٧	٣٣ ٠٦	٤٥	قشابي	١٧ ٥٩	٣١ ٠٦	٦٩	ود النسي	١٤ ٢٣	٣٢ ٤٩	٩٣	تقلاسي	١٨ ٢٥	٣١ ٤٧
٢٢	الشرفاية	١٣ ١٩	٣٣ ٢٥	٤٦	الشاط	١٨ ٠١	٣١ ١٠	٧٠	الزيداب	١٧ ٢٦	٣٣ ٢٤				
٢٣	دنقلا العجوز	١٨ ١٣	٣٠ ٤٥	٤٧	البشاقرة	١٥ ١٣	٣٣ ٠٥	٧١	نوري	٢١ ٥٤	١٨ ٣٣				
٢٤	مشو	١٩ ٣٤	٣٠ ٢٣	٤٨	أم طلحة	١٥ ١٤	٣٣ ٠٩	٧٢	الكتيبة	٣٠ ٤٢	١٧ ٠١				

المصدر: من إعداد الباحث استناداً إلى:

(١) ضيف الله، محمد النور (١٩٧١) كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان. تحقيق يوسف فضل حسن، دار التأليف، جامعة الخرطوم، ط ثانية.

(٢) مصلحة المساحة السودانية (١٩٧٠) تقويم البلدان السودانية، الخرطوم.